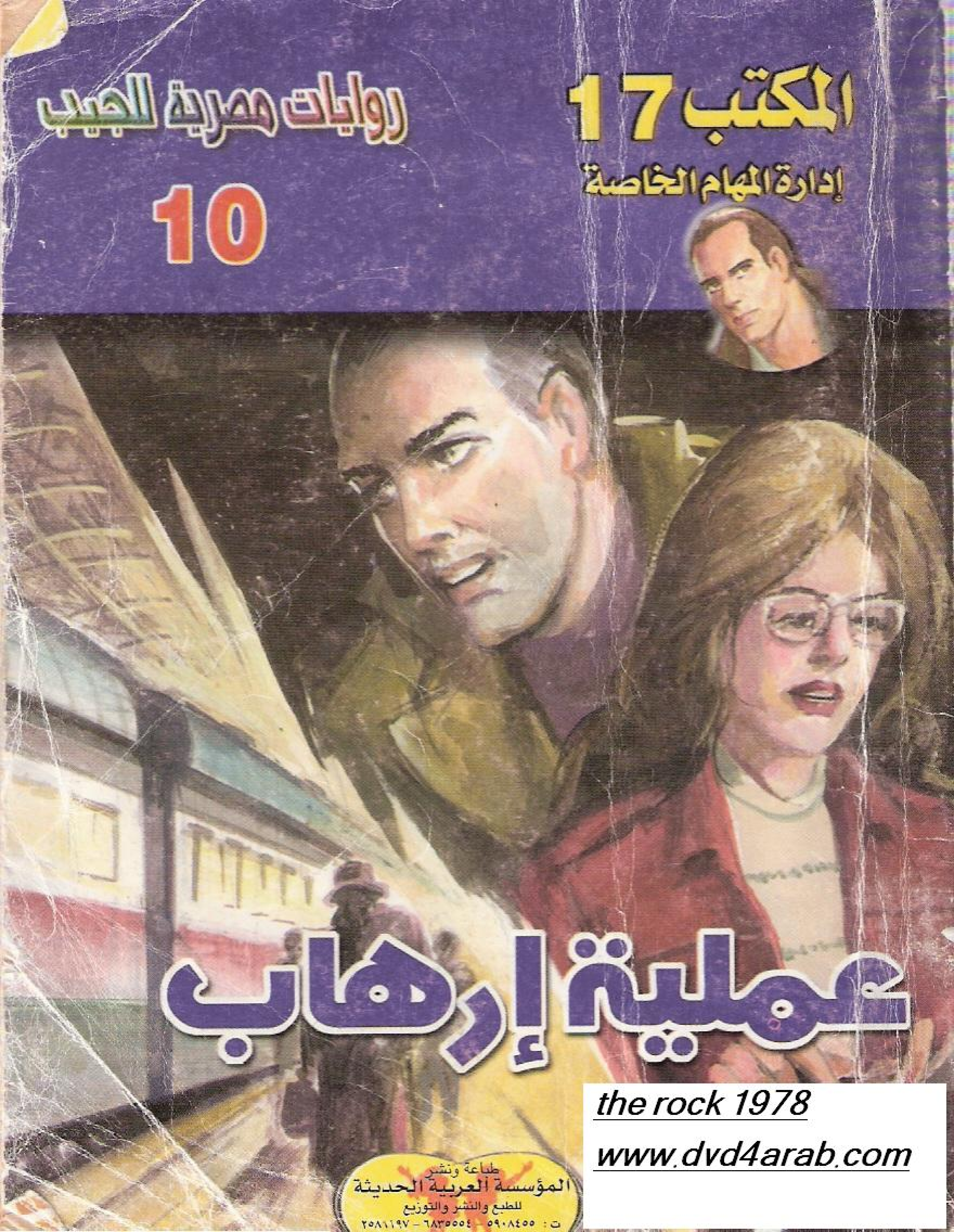


روايات مصرية للجيب
المكتب 17
إدارة المهام الخاصة
10
عملية إرهاب
the rock 1978
www.dvd4arab.com
طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

محمد سليمان عبد المالك

المكتب 17

إدارة المهام الخاصة

★★★★

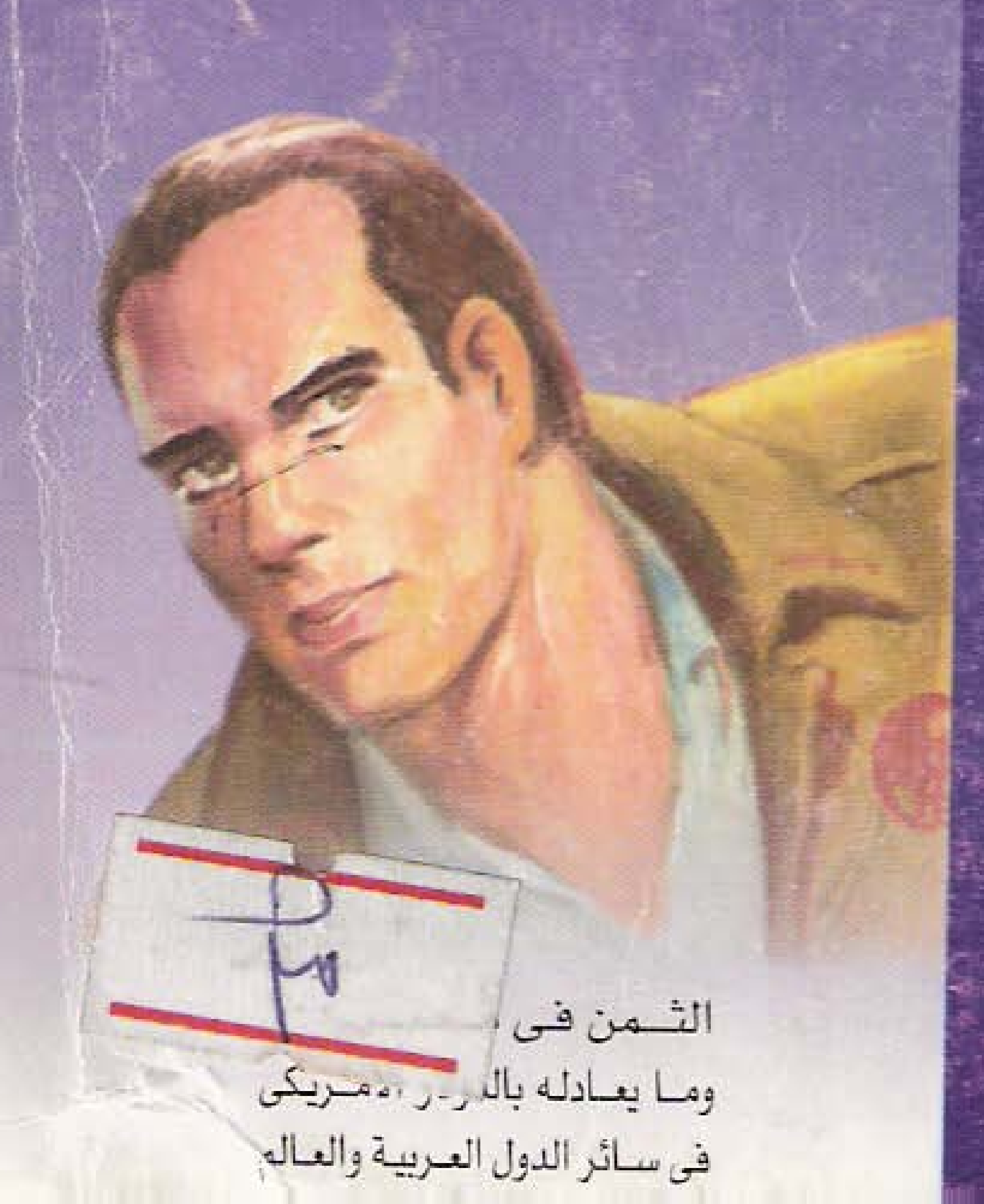
سلسلة روايات عصرية للشباب حافلة بالمغامرة والإثارة والتشويق

عملية إرهاب

الإرهاب هو : استخدام غير مشروع للعنف أو للقوة ضد أشخاص أو ممتلكات للضغط على حكومة ، أو لإلحاق الضرر بمجتمع مدنى ، وذلك من أجل تحقيق مآرب سياسية أو اجتماعية معينة ...

تعريف مكتب التحقيقات الفيدرالية

FBI





٧٢٥٢٠٠٢

الثمن فى
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
عملية شبكة العنكبوت

وهى هيئة ذات سلطات غير محدودة ، مهمتها التعامل مع القضايا ذات الطابع الخاص ، المحاطة بأعلى قدر من السرية ، والتى تتطلب كفاءات رفيعة المستوى للتعامل معها ..

هيئة تعرف باسم (المكتب ١٧) ..

محمد سليمان



١

من فوق مقعده الخشبى، ومن خلف منظاره الشمسى المُواكب لأحدث الصيحات العالمية، أخذ (عمر زهران) يراقب الحمام الأليف، الذى يلقط بمناقيره الدقيقة ماتلقى به أيادى العجائز والعشاق والسياح، فى منتصف الميدان الفسيح ..

ابتسم للمشهد الجميل، وضم (ياقتى) معطفه متقيًا الهواء البارد برغم الشمس التى تتوسط كبد السماء، ثم إنه ألقى بنظرة خاطفة على ساعة معصمه ..

- الثانية والنصف إلا خمس دقائق ..

غمغم بها فى صوت خفيض، ثم هز كتفيه مردفًا وهو يسند ظهره إلى المقعد مسترخيًا :

- .. هذا جزاء من يأتى مبكرًا عن موعده ..

وعادت عيناه تجولان فيما حولهما من مناظر

مبهجة، بدءًا من النافورة الضخمة التى تحتل مقدمة الميدان، بالتماثيل المنحوته على جانبيها، ومرورًا بالشوارع الواسعة النظيفة، وواجهات المحال التجارية المغرية بالاقتراب للمشاهدة أو الشراء، وأكشاك الصحف والحلوى المتراصة فى انتظام يزيد من جمال المكان ولايضيف عليه لمسة قبح أو تشوه، والمساحات الخضراء من أشجار وحشائش وزهور مختلفة ألوانها، وانتهاءً بذلك الفندق الضخم المواجه له، الذى يحمل اسمًا عالميًّا شهيرًا، وكل شبر فى ارتفاعه الشاهق ينطق بالفخامة والرخاء والأريحية ..

مرت دقائق لم يشعر بها، لكنه شعر بذلك البدين الذى جلس إلى جواره، وفرد صحيفة مطوية شرع فى قراءة عناوينها الكبيرة ..

بنظرة خاطفة لمح (عمر) معطفه السميك وقبعته الصوفية ومنظاره الطبى الدقيق، وبنظرة أكثر تفحصًا استطاع تمييز ذلك الخاتم الفضى ذا الفص الياقوتى الأحمر فى خنصره، والذى يحفظ - (عمر) - شكله جيدًا ..

من مجلسه ودون أن ينظر (عمر) نحو الرجل ، قال بنبرة نصف عالية :

ـ (لكسمبورج) ليست بهذا الاختناق الذى يدعونه فى كتب الجغرافيا !

صمت الرجل هنيهة ، ثم قال دون أن ينظر نحوه هو الآخر :

ـ يسمونها قلب (أوروبا) الأخضر .. أنت لم تر هذا الوجه بعد ..

ابتسم (عمر) وقال دون أن يتحرك من وضعه أنملة :

ـ أتوق لرؤيته على الطريقة المصرية !

ولمح بطرف عينه تلك السلسلة الذهبية ، التى وضعها الرجل على المساحة الخالية من المقعد بينهما ، والتى تنتهى بمفتاح وحيد ..

ـ لك ما تريد ، ولكن كن حذرًا ..

قالها الرجل وهو يدفن وجهه فى صفحات الجريدة ، ثم تابع و(عمر) يلتقط السلسلة بحركة خفية :

ـ .. (لكسمبورج) ليست آمنة إلى هذا الحد !

لمح (عمر) على المفتاح رقمًا ، واسمًا عالميًّا شهيرًا لسلسلة من فنادق النجوم الخمس ، يواجه أحدها الميدان الذى يجلسان فيه ..

ولم يكن فى حاجة للعبقرية حتى ينهض على الفور ، ويقول فى نبرة خفيضة :

ـ هذا واضح ..

.. ثم يمضى عابرًا الميدان بخطوات سريعة ، جعلت الحمام يطير فى أسراب نحو السماء ، دون أن يتبادل مع الرجل المزيد ..

غلب انبهاره بكل ما رأى فى بهو الاستقبال الواسع ، وسار نحو المصعد الذى أقله فى لحظات إلى الدور السابع ، وهناك دس مفتاحه فى ثقب الباب الذى يحمل الرقم المطابق للمحفور على المفتاح ..

وانفتح الباب بكل سهولة ..

دلف فى حذر وسرعة ، وبمجرد أن أُغلق خلفه سمع الهتاف المرحب :

ـ مرحبًا بك ، نقيب (عمر) ..

وارتفع حاجبا (عمر) دهشة ..

ـ (دينا) ؟!

قالت دون أن تتبدل ملامحها الجامدة :

ـ أجل ولكن .. حبذا لو خفضت من صوتك قليلاً !

ـ عذرًا ..

قالها ولمّا تنقشع سحابة الذهول عن وجهه بعد ، وأردف :

ـ لكنى لم أتوقع وجودك أنت بالذات ..

هزت رأسها متفهمة ، وقالت فى جدية لم تنتقص من جمال عينيها الملونتين شيئًا :

ـ أنا الأخرى لم أتوقع أن يرسلوا بى إلى (لكسمبورج) بهذه السرعة .. لقد أرسلوا لى التذكرة صباح اليوم ، وأبرقوا بتفاصيل الإقامة والتنقل عبر البريد الإلكترونى الذى تصفحته باستخدام حاسبى النقال على متن الطائرة ، ولم أصل إلى هنا إلا منذ بضع دقائق مستقلة سيارة أجرة من مطار (فندل) ..

سألها (عمر) فى حيرة لها ما يبررها :

ـ معنى هذا أنك لست على علم بسبب مجيئك ؟!

ـ ليس بعد ..

قالتها هازة رأسها ، ثم أتبعت مشيرة إلى حاسبها المستقر فوق السرير :

ـ .. إننى أنتظر أن يرسلوا لى عبر الإنترنت !

نظر (عمر) إلى حيث تشير وقال بعد هنيهة من التفكير :

ـ لا أظنهم سيفعلون ..

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابها مستطردًا :

- إننى فى (بلجيكا) منذ يومين فى مهمة تدريبية ، وقد أبرقوا لى بالمجىء إلى هنا بنفس الطريقة التى اتبعوها معك تقريبًا ، ولو كانوا فى حِلٍّ من إرسال التفاصيل هكذا لفعلوا دونما تأخير ..

سألت والحيرة تنتقل منه إليها :

- ماذا يمكن أن يفعلوا إذن ؟!

ألقى بجسده على السرير القريب منه ، وقال فى بساطة :

- دعينا ننتظر .. لا أظن الأمر يستغرق الكثير من الوقت ..

ثم إنه غمغم :

- .. وإن كنت أخمن أنه أمر جلل كما يبدو ..

تصاعدت نغمة موسيقية من حاسبها النقال ، فهرعت (دينا) إليه وضربت أزرارًا كثيرة ، قبل أن ترفع عينيها إلى (عمر) أخيرًا ..

- لاتقولى إنهم ضربوا باستنتاجاتى عرض الحائط !

قالها (عمر) فى مزيج من الدعابة واللهفة ، فنهضت من جلستها مغلقة الحاسب ، وقائلة فى اقتضاب شديد :

- على العكس ..

ثم طفقت ترتدى معطفها المعلق على مشجب خلفها ، دون أن تنطق بحرف آخر ، مما جعل (عمر) يسألها مقطبًا :

- ماذا تعنين ؟!

قالت وهى تعدل بأصابعها من خصلات شعرها الطويل النافرة أمام المرآة :

- أعنى أنك محق .. لن يرسلوا لنا بالتفاصيل عبر الشبكة ..

نهض عاقدًا ساعديه أمام صدره ، وسائلاً باهتمام :

- ثم ماذا ؟!

حملت الحاسب وتوجهت نحو الباب قائلة بلهجة عملية سريعة :

ـ ثم نغادر الغرفة على الفور ..

ـ لماذا ؟!

استوقفها سؤاله ، فاستدارت إليه مجيبة :

ـ ليمكننى أن أجيبك فى الطريق ، فلايوجد وقت لنضيعه ..

قال مداعبًا فى ظرف لا يسمح بمثل هذه الأمور :

ـ تتصرفين بروح قيادية عالية كما أرى ..

ـ هل ستظل واقفًا هكذا ؟!

ـ ألم أقل لك ؟!

ـ اتبعنى إذن متى شئت ..

قالتها وهى تستدير إلى الباب فى نفاد صبر ، فأمسك بذراعها قائلاً :

ـ لحظة .. لقد أنسانى ما نحن فيه شيئًا مهمًا ..

التفتت إليه عابسة وعيناها تنضحان بالتساؤل ، فتابع باسمًا :

ـ .. أنسانى أن أقول لك : مرحبًا .. وأنسانى أن أقول أيضًا : إنك تزدادين جمالاً فى كل مرة أراك فيها عما سبق ..

حدقت فى وجهه دون أن يزول عبوسها ودون أن يلين جمودها ، وقبل أن تفكر فى رد فعل مناسب وجدت (عمر) يسبقها نحو الباب قائلاً :

ـ .. لا تنسى أنك وعدتنى بأن تقولى لى كل شىء ونحن فى الطريق .. هه ؟!

ولم يلمح (عمر) تلك البسمة الشاردة التى غافلتها وتسللت إلى محياها ، لتسارع بنفضها واستعادة قناعها الحجرى البارد ..

ـ أهذا كل ما حوته الرسالة ؟!

سألها (عمر) وهما يسيران متجاورين فى مرآب الفندق ، وكانت إجابتها :

ـ أجل ..

وأعادت ما قالته منذ لحظات على مسامعه :

ـ هناك ليموزين (كاديلاك) سوداء اللون تنتظرنا فى المرآب !

ـ لا رقم سيارة ، لا مكان مميز ، لا ؟!

قاطعته فى حسم :

ـ لا شىء أكثر مما أقول !

قطب متسائلاً :

ـ ألا يمكن أن تكون ؟!

عادت تقاطعه :

ـ التوقيع الرقمى المميز لرسائل الإدارة لايترك مجالاً لأشياء كالتى تدور فى مخيلتك .. أشار (عمر) بسبَّابته ، وهتف فور فراغها من قول عبارتها :

ـ هاهى ذى ..

رفعت عينيها إلى حيث يشير ورأت السيارة الفارهة

الطويلة تربض مستكينة فى نهاية المرآب ، (كاديلاك) سوداء لا يوجد سواها على مرأى البصر ..

سارا دون أن يتفوه أيهما بكلمة نحوها ، ورأى كل منهما انعكاسًا لصورته على زجاجها الذى يمنع رؤية ما بداخلها ..

ـ لنأخذ الحذر فى كل الأحوال ..

غمغم بها (عمر) وأيدته (دينا) بصمتها ..

اقترب أكثر حتى لم يعد من الممكن الاقتراب أكثر ، ودنا (عمر) من الزجاج الخلفى طارقًا إياه بأصابعه ، فانفتح الباب بغتة ..

تراجع (عمر) وقد فوجئ ، لكنه تقدم من جديد عندما لم يبرز أحد من خلف الباب .. تقدم .. وتقدم ..

فكر فى التراجع لكنه لم يجدها فكرة مناسبة ..

أولاً : لا يوجد حتى الآن ما يوحى بالشك ..

ثانيًا : لا يصح أن يبدو جبانًا أمام (دينا) ..

ثالثًا : هذه أوامر المكتب !

تقدم .. وتقدم ..

ومال برأسه ليرى داخل السيارة ..

و .....

ـ ادخلا بسرعة ، نقيب (عمر) ..

وارتفع حاجباه مع اتساع عينيه ، ولم يكن من الممكن أن يمنع نفسه من الهتاف ذاهلاً :

ـ عميد (منصور حرب) ؟!

وانتقل الذهول منه إلى (دينا) الواقفة خلفه ، فغمغمت :

ـ بنفسه ؟!!

* * *

٢

ـ يبدو أن الأمر أخطر مما كنت أتصور ..

غمغم بها (عمر) لنفسه وهو يطالع واجهة الفندق العالية عبر زجاج (الكاديلاك) ، التى انطلقت تجوب شوارع المدينة فى بطء يليق بحجمها ..

ـ إنه كذلك بالفعل ، نقيب (عمر) ..

قالها العميد (منصور حرب) دون أن يرفع عينيه الحادتين ـ اللتين تجعلانه أهلاً للقب (الصقر العجوز) عن جدارة ـ عن الأوراق الموضوعة بين دفتى ملف أسود ، فى حين انهمكت (دينا) فى توصيل حاسبها النقال بالحاسب الضخم المستقر فوق المنضدة ؛ التى تفصلها و(عمر) عن العميد (حرب) ..

ـ خمنت هذا من كل هذه التعقيدات الأمنية ..

قالها (عمر) خالعًا منظاره الشمسى ، وتابع بابتسامة هينة :

- ومن وجودك هاهنا يا سيادة العميد ..

قال العميد (حرب) مواصلاً التقليب فى أوراق الملف :

- لنأمل فى أن يكون كل هذا مجديًا !

سألت (دينا) وقد انتهت أخيرًا من توصيل الكبْل السميك بين الحاسبين :

- إلى أين الآن ؟!

أجابها العميد (حرب) دون أن يرفع عينيه إلى أى منهما :

- لا توجد وجهة محددة .. السيارة سوف تطوف فى أنحاء المدينة كأنها تقل راكبيها فى رحلة سياحية ..

تشجع (عمر) وتساءل :

- أليست ملفتة للنظر قليلاً ، عميد (حرب) ؟!

ثم إنه استدرك مفسرًا :

- .. أعنى بالنسبة لمهمة سرية !!

قال العميد (حرب) وهو يمر بعينيه على السطور الأخيرة :

- إنهم يقولون : اختبئ فى أكثر الأماكن التى يمكن أن يعثروا فيها عليك !

صحح له (عمر) القول باسمًا :

- يقولونها فى المأثور الشعبى : اللص الشاطر يختبئ فى عربة الشرطة !

- سيان ..

نطق بها العميد (حرب) فى حسم ، ثم تابع منحيًا الملف الأسود جانبًا ، لينظر إليهما نظرات جادة عميقة :

- .. ولنبدأ الآن على الفور فاللحظات القادمة فاصلة ..

وأردف فى نبرة تسلل إليها التوتر :

- ومخيفة !

قال (عمر) فى محاولة لتهوين الأمر على نفسه :

- إنها دائمًا كذلك .

حدجه العميد (حرب) بنظرة خاصة ، قال على إثرها :

- ربما يختلف الأمر قليلاً هذه المرة ، فهو أكثر خطورة مما يمكن أن تتصور كما قلتها بنفسك ..

تجلّى الاهتمام على ملامح (عمر) و(دينا) آيات بينات ، جعلت العميد (حرب) يلقى بقنبلته فى وجهيهما بلهجة معبرة :

- .. إن (مصر) فى هذه اللحظات تتعرض لأكبر وأدق عملية إرهابية فى تاريخها المعاصر كله ..

انعقد حاجبا (عمر) بحركة لا إرادية ، فى حين أطلت علامات الاستفهام بجلاء من عينى (دينا) ، فمال العميد (حرب) على حاسبه الضخم المستقر على المنضدة بينه وبينهما ، وضغط أزراره قائلاً :

- .. القصة ليست طويلة ، وبدايتها مرعبة بكل ما يحمله تعبير (الرعب) من تداعيات فى الذهن ، والأمر لحسن الحظ لا يحتمل مقدمات طويلة ..

واستطرد بعد هنيهة من الصمت وضغط الأزرار المتتابع :

- .. فجر اليوم ، أى منذ ساعات ليست بعيدة ، تلقت جميع الأجهزة المخابراتية والقيادات الأمنية العليا فى (مصر) إشارات عاجلة من جهات عسكرية مختلفة بما فيها وزارة الدفاع ، تقول بالحرف الواحد : إننا قد فقدنا السيطرة تمامًا على جميع قواعد إطلاق الصواريخ المنتشرة فى أنحاء الجمهورية !

اتسعت عينا (دينا) ، وشهقت فى ذعر ثم هتفت :

- رباه !

وسأل (عمر) مسيطرًا على أعصابه بصعوبة بالغة :

- كيف يمكن أن يحدث هذا يا سيادة العميد ؟!

أجابه العميد (حرب) والأسى يلتهم حنجرته :

- المسألة يصعب شرحها تقنيًا نقيب (عمر) .. لكنى سأحاول تبسيط الأمر قدر استطاعتى ..

واستطرد مستعينًا ببعض الصور الرقمية التوضيحية ، التى ظهرت على شاشة حاسب (دينا) النقال أمامها :

ـ فى مشروع حديث تم الاستعانة فيه بالخبرات الأمريكية منذ ما يقرب من عام ، بُنِيَتْ شبكة ربط إليكترونية بين مواقع القواعد كلها ، وتم تأمين هذه الشبكة بكافة الوسائل الممكنة من جدران نارية ومراقبة مستمرة لكل المخارج والمداخل .. كان الهدف من بناء هذه الشبكة هو التحكم فى هذه القواعد عن بعد بحيث يتم تلافى الأخطاء البشرية التى يمكن أن تنشأ عن انقطاع الاتصالات فى حالات الحرب مثلاً ، على أن يتم هذا التحكم من مركز رئيسى يقع بين جدران (وزارة الدفاع المصرية) الآمنة .. صحيح أن بروتوكولات الاتصال تعتمد على خطوط هاتف متصلة بالعالم الخارجى بوسيلة ما ، لكننا تصورنا أن وسائل الحماية كفيلة بمنع أى اختراق محتمل ..

وزفر العميد (حرب) قبل أن يواصل بمرارة لاحدود لها :

ـ .. ما حدث فجر اليوم أننا فوجئنا باختراق مركز التحكم الرئيسى فى الوزارة بوسيلة نجهلها حتى هذه اللحظة ، وقد نجح المخترقون فى إحكام السيطرة التامة على الأنظمة الخاصة بإطلاق الصواريخ فى جميع القواعد المتناثرة على الخريطة ..

هتف (عمر) فى حنق جعل خدّيه يتوردان :

ـ هذه كارثة عظمى .. إن ما تقوله يا سيادة العميد يعنى ببساطة أننا لانسيطر على أسلحتنا الدفاعية والهجومية معًا .. وهو ما يعنى بالتالى أننا نقف عاجزين عن صد أى هجوم يشنه علينا عدو غادر !

أومأ العميد (حرب) برأسه إيجابًا ، وقال بوجه مسودّ :

ـ ما تقول صحيح بكل أسف .. أكثر من هذا أنه يمكن أن يتم العكس !

سأل (عمر) وقد استعصى عليه الفهم :

ـ العكس ؟!

قالت (دينا) متطوعة بالتفسير ، وقد جاهدت لتهدئ من انفعالها :

ـ بمعنى أن المخترقين يستطيعون الآن إطلاق الصواريخ على أى جهة يريدون ، مما يعنى بالتالى أنهم يشنون باسمنا حربًا لا نريد خوضها ، وربما نكون غير مستعدين لها بالمرة !

عاد العميد (حرب) يومئ برأسه إيجابًا ، ويقول فى اكفهرار :

ـ هذا بالفعل ما أردت قوله ..

شعر (عمر) بدقات قلبه تتسارع وهو يسأل :

ـ وهل هذا ما حدث فعلاً ؟!

هز العميد (حرب) رأسه نفيًا هذه المرة، وأجاب :

ـ كلا للأسف .. ما تم أكبر من هذا بكثير ..

ثم إنه استأنف روايته :

ـ .. إننا لم نألُ جهدًا منذ ساعات الصباح الأولى فى

محاولة استعادة السيطرة على الوضع المختل ، لكن الفاعل استطاع عزل أنظمة التحكم كلها عن أيدينا ، ومع جهلنا بالوسائل التى يستخدمها ، وجهلنا بمكان وجوده أصلاً ، بات عثورنا على حل الاستعادة فى عداد المستحيل ..

سألت (دينا) فجأة وقد أضاء مصباح كهربى فى عقلها :

ـ ألم تحاولوا تتبع الاتصال لتعرفوا مكان وجوده ؟!

ـ بالطبع حاولنا ، وقد تطلب منا هذا مجهودًا غير طبيعى، ووقتًا لانملكه، خاصة مع اكتشافنا لاستخدامه قمرًا صناعيًّا كاملاً لتنفيذ خطته ..

هتف (عمر) مأخوذًا :

ـ يا للهول .. هذا يتطلب إمكانيات طائلة !

تجاهل العميد (حرب) قوله وتابع :

ـ المشكلة هى أننا بمجرد بدئنا فى تقصى مكانه ، كانت الكارثة الحقيقية فى طريقها للحدوث ..

وأردف بعد أن زفر فى حرارة مجددًا :

- ..لقد وجدنا زوايا إطلاق الصواريخ تتغير ، وفوجئنا بأنظمة التحكم تتصاعد نحو حالة الاستعداد للإطلاق ..

سأل (عمر) وأطرافه تهتز من فرط العصبية :

- نحو من ؟!

صمت العميد (حرب) ، ثم ازدرد لعابه مجيبًا فى عمق أخفى الكثير :

- نحونا نحن ..

وانفجرت ملامح (عمر) و(دينا) بالصمت الذاهل !

- .. نحو ثلاث مدن مصرية حيوية : (القاهرة) .. (الإسكندرية) .. و(الإسماعيلية) ..

وأضاف العميد (حرب) قبل أن ينقشع ضباب الذهول عن وجهيهما :

- .. إن كمية الصواريخ المدمرة الموجهة كفيلة بإلحاق الدمار التام بهذه المدن الثلاث ، بل وإبادتها إبادة تامة ..

نطق (عمر) أخيرًا فغمغم :

- يا للكارثة البشعة !

قال العميد (حرب) والغضب يشتعل فى عينيه :

- إنه الإرهاب فى أعتى صوره وأوضحها ..

سألت (دينا) :

- وماذا يريدون لقاء جريمتهم هذه ؟!

- ابتزاز حقير ، لقد أرسلوا لنا بنظام الـ (SMS)(*) على الهاتف المحمول الخاص بالسيد وزير الدفاع شخصيًا عدة رسائل متتالية أعلنوا فيها عن مطالبهم .. ظهرت نصوص الرسائل أمامهما على شاشة حاسب (دينا) النقال ، لخص العميد (حرب) ما فيها بقوله :

- .. يطالبون بمئة وخمسين مليون يورو أوروبى ، يتسلمونها هنا فى (لكسمبورج) وذلك فى موعد أقصاه الثالثة بعد الظهر ..

(★) اختصار لـ Short Message System أو نظام الرسائل القصيرة ..

نظر (عمر) إلى الساعة الرقمية القائمة فى طرف الحاسوب السفلى الأيمن ، وغمغم معلقًا :

- أى بعد دقائق تنتهى المهلة ..

قال العميد (حرب) وهو يغوص فى مقعده الوثير :

- وقد نفذنا مطالبهم منذ الثانية والنصف ، وضعنا المبلغ كاملاً فى حقيبة جلدية سوداء ، وسلمناه إلى خزينة ذات رقم خاص تابعة للفندق الذى كنتما فيه منذ دقائق ..

سأل (عمر) وقد تصور أنه وجد طرف الخيط :

- وتقصيتم بالطبع عن حاجز الخزانة ؟!

- بالطبع ، نقيب (عمر) .. ووجدناها محجوزة منذ ما يقرب من عام كامل باسم (جيفرى ستراوس) ، فى الغالب هو اسم مستعار لكننا نراقب المكان جيدًا ..

قالت (دينا) وقد تذكرت أمرًا :

- لم تخبرنى بنتائج التتبع بعد يا سيادة العميد ..

هز العميد (حرب) رأسه وقال :

- فعلاً .. لقد استطعنا تعقب الاتصال حتى حددنا هوية القمر الصناعى ، ووجدنا أنه يتبع شركة فرنسية تعد من عمالقة اقتصاد الاتصالات الأوروبى ، وربما العالمى كله ، ألا وهى (تكنوتل) ، للاتصالات !

برقت عينا (عمر) وهو يغمغم فى لهجة ذات مغزى :

- يبدو الاسم مألوفًا لى إلى حد كبير ..

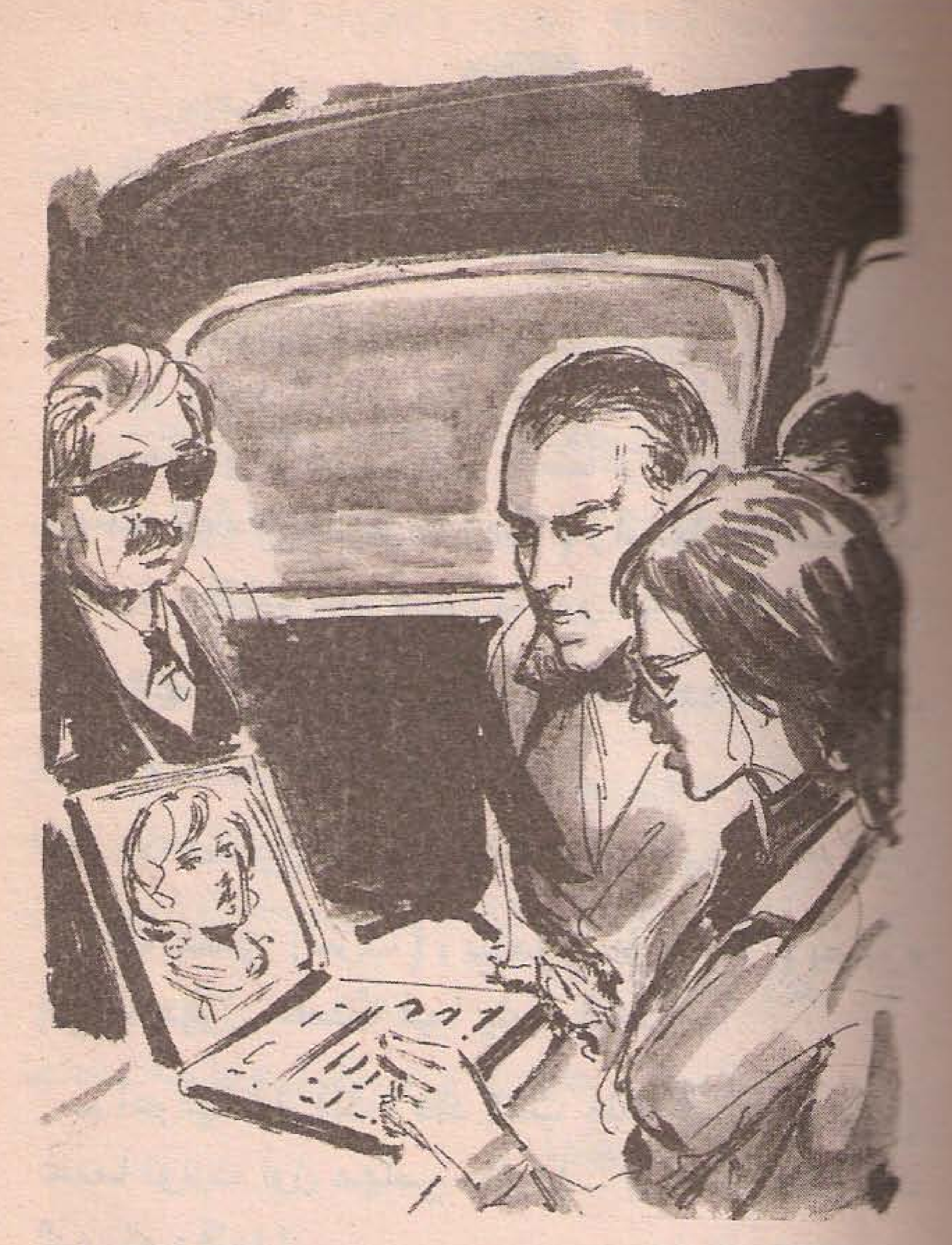
- أكثر من هذا ..

قال العميد (حرب) ..

- .. مزود خدمة الرسائل القصيرة الذى أرسلت من خلاله رسائل الابتزاز يتبع شركة فرنسية أيضًا تدعى (ماربل) ، وهى فرع صغير من (تكنوتل) الأم بعد أن اشترتها الأخيرة فى صفقة شهيرة ..

فرقع (عمر) بإصبعه وقال فى استنتاج :

- هكذا لم يعد هناك مجال للشك ..



ازداد حاجبا (دينا) عبوسًا ، وهى تحدق فى الصورة ، حتى قالت :
ـ أنا أعرف هذه المرأة !! ..

سألت (دينا) فى عبوس :

ـ ماذا تقصد ؟!

أشار (عمر) باسمًا إلى شاشة حاسبها النقال الذى ارتسمت فوقه صورة (٣ ب) لامرأة تدور حول محورها ..

العينان عسليتان ، الشعر أشقر قصير ، البشرة بيضاء إلى حد مستفز ، والجمال متوسط ..

ـ هذا ما أقصده ..

ازداد حاجبا (دينا) عبوسًا ، وهى تحدق فى الصورة ، حتى قالت :

ـ أنا أعرف هذه المرأة ..

.. وكانت محقة !

★ ★ ★

٣

- (مادلين تشايمر) .. لايمكن أن أنسى هذا الاسم أبدًا ..

قالها (عمر) وهو ينظر إلى الصورة الدائرة حول محورها ، وعواصف من المشاعر المتناقضة تهب فى أعماقه ، بينما هزت (دينا) رأسها وقد أسعفتها الذاكرة ، فقالت ناظرة إلى الصورة بدورها :

- إنها المرأة المقعدة التى أنقذناها من الموت نسفًا فى (ريتشموند) !

- هذا صحيح ..

قالها العميد (حرب) ، بينما أرسل (عمر) بصره إلى المجهول مغمغمًا فيما يشبه الحنين :

- أعرفها قبل ذلك ، فقد كانت هناك فى (باريس) عندما توليت أول مهامى منفردًا .. يا له من لقاء ذلك الذى تم وقتها !

قطع عليه العميد (حرب) شروده قائلاً :

- هى بعينها ، (مادلين فرانسوا تشايمر) نائب رئيس مجلس إدارة مؤسسة (تكنوتل) للتقنيات الحديثة ، وخبيرة الشبكات العبقرية ..

قال (عمر) وشبح بسمة يرتسم كطيف بعيد على شفتيه :

- إنها إذن من يقف خلف عملية معقدة كهذه ..

ليس لدينا إلا القرائن التى لايرقى أحدها إلى مستوى الدليل الدامغ ..

وتنهد العميد (حرب) فى عمق قبل أن يضيف :

- .. لقد حاول رجالنا اختراق القمر الصناعى المنيع علنّا نصل إلى المصدر الذى يُرسل إليه بالأوامر ، لكنه كان منيعًا بحق كما وصفته .. إلا أنهم مازالوا يحاولون حتى هذه اللحظة ..

ضيقت (دينا) حدقتيها وهى تقول واضعة راحتها المفرودة على جبهتها :

- ربما لو ...

قاطعها العميد (حرب) على الفور :

- أعلم ما تودين قوله يا (دينا) .. لا أزعم قدرتى على قراءة الأفكار لكن أعرف ما قد يتداعى إلى ذهن خبيرة محترفة مثلك .. وقد فعلنا ما تفكرين فيه الآن منذ ساعات ..

سألته فى حماسة خفيفة :

- وماذا كانت النتيجة ؟!

قال العميد (حرب) مجيبًا ، وقد لاحت بسمة شاحبة على شفتيه لأول مرة فى هذا اللقاء :

- مبشرة جدًا !

هتف (عمر) فى شىء من الضيق :

- هل يجب أن أكون خبيرًا تقنيًا أنا الآخر حتى أفهم ؟!

التفت العميد (حرب) إليه قائلاً فى أبوة :

- أنا لست كذلك ، نقيب (عمر) ..

ثم إنه شرح له المسألة فى عجالة سريعة :

- نتحدث عن تعقب الإشارات الرقمية الواردة إلى قناة اتصال القمر الصناعى بوساطة قمر صناعى آخر على مقربة منه ..

عقد (عمر) حاجبيه سائلاً فى محاولة منه لئلا يبدو غبيًا :

- وبماذا يفيد أمر كهذا ؟!

أجابته (دينا) وبريق عينيها يزيدها حسنًا :

- لو كان القمر الصناعى المستخدم فى تعقب الإشارات الواردة مجهزًا بخدمة الـ Gps(*) فيمكننا أن نحدد مكان انبعاث الإشارت أينما كان على الأرض ..

صمت (عمر) لحظات كأنه يهضم الأمر ، حتى قال فى النهاية بنصف قناعة :

- تقريبًا فهمت ..

(★) اختصار لـ Global Posirioning System أى تحديد المكان على سطح الأرض ..

قال العميد (حرب) والسمة الشاحبة تزداد وضوحًا :

ـ وتقريبًا نجحنا فى تحديد المكان المذكور ..

سألته (دينا) هاتفة فى حماسة شديدة :

ـ حقًّا ؟!

وتساءل (عمر) كأنه يتأكد من مدى فهمه للأمر :

ـ هل تقول ياسيدى إنكم قد نجحتم فى تحديد مكان الإرهابيين ؟!

هز العميد رأسه أن نعم ، ووضّح بقوله :

ـ فعلناها عن طريق قمر صناعى تابع لدولة صديقة ، وقبل ثلاث ساعات بالتحديد وافونا بصور المكان الرمادية المميزة من أعلى ..

سأله (عمر) مستنتجًا :

ـ (باريس) ؟! أم هنا فى (لكسمبورج) ؟!

ارتسمت صور المساقط الرأسية الرمادية على شاشة

حاسب (دينا) النقال ، مع تأتأة العميد (حرب) ثم قوله نافيًا :

ـ كلا .. مكان آخر لم نتوقعه أبدًا ..

ضمت (دينا) حاجبيها ، وغمغمت متسائلة وهى تحدق فى الصور المتتالية التى تزداد درجة جودتها ووضوحها تدريجيًّا :

ـ ما هذا ؟!

سألها العميد (حرب) وهو يضرب ركبته بكفه :

ـ ماذا ترين ؟!

قال (عمر) هازًّا كتفيه :

ـ من جهتى لا أرى شيئًا مفهومًا !

وأجابت (دينا) بصوت خفيض وهى تحدق فى الصور بتمعن أكثر :

ـ كأن الموقع يتغير بين كل صورة وأخرى ..

ابتسم العميد (حرب) ابتسامة صريحة ، بينما واصلت (دينا) مقطبة :

- .. والمكان نفسه غريب جدًا ، كأنه ممر طويل !

- استنتاجات رائعة إذا وضعنا فى الاعتبار أنك لست خبيرة فى تحليل صور المساقط الرأسية ..

قالها العميد (حرب) فى إطراء ، ثم تابع مستعيدًا جديته وخطورة لهجته :

- .. إننا أمام هدف متحرك بالفعل !

أعاد (عمر) كلمتيه الأخيرتين فى شىء من الاستنكار المتسائل :

- هدف متحرك ؟!

- نعم ..

قالها العميد (حرب) ثم اعتدل فى جلسته ، وأكمل :

- .. قطار ، لا ممر طويل !

ووجد (عمر) نفسه يعيد الكلمة بفيهٍ مفغور :

- قطار ؟!

أما (دينا) فقد تمتمت بتفهم :

- يا للدهاء !

استطرد العميد (حرب) عارضًا على شاشتهما بعض الصور التوضيحية :

- قطار أوروبى تابع لمؤسسة (CFL) ، يبدأ رحلته الطويلة من محطة (لورين) شرق (فرنسا) ، ثم يصل إلى (لوكسمبورج) ومنها إلى (فرانكفورت) الألمانية ، وتنتهى الرحلة غدًا مساءً فى (روتردام) بـ (هولندا) ..

- إنهم فى القطار إذن !

- .. شبكة المكتب (١٧) فى (فرنسا) استطاعت التوصل إلى بعض المعلومات القيمة من محطة السكك الحديدية فى (لورين) ، أهمها أن (مادلين تشايمر) قد استقلته بالأمس مع بعض رجالها ، ومازال الرجال يحللون بيانات الركاب جميعهم حتى يمكننا التوصل إلى

هوية شركائها إن كان لها شركاء ، أو على الأقل هوية من يساعدونها فى عملها هذا من رجالها المخلصين ..

سأل (عمر) فى لهفة شديدة :

- وهل هناك شك بعد هذا فى كونها الفاعلة ؟!

لوح العميد (حرب) بسبابته قائلاً فى تحذير :

- كلها قرائن ، نسبة تورط المرأة لاتزيد على ٧٠٪ حتى الآن !

وسألت (دينا) فى هدوئها المعتاد :

- وهل وصلت (مادلين) إلى (لوكسمبورج) ؟!

أجابها العميد مبديًا إعجابه المعتاد بذكائها ونظام تفكيرها :

- القطار الآن داخل حدود المملكة ، لكنه لم يصل إلى المحطة بعد ..

ونظر إلى ساعة معصمه قبل أن يردف قائلاً :

- .. سيصل بعد نصف ساعة ، ويستعد لمواصلة الرحلة فى تمام الرابعة ..

قال (عمر) :

- أى بعد حوالى الساعة تقريبًا ..

- تمامًا ..

سألت (دينا) وقد اكتملت صورة الأمر فى ذهنها :

- وما هو دورنا تحديدًا فى هذه المهمة يا سيادة العميد ؟!

أجابها العميد (حرب) وهو يحدق فى شاشة حاسبه الضخم :

- دوركما سيبدأ بعد لحظات ..

وانهمك فى الضغط على أزرار لوحة المفاتيح ، فى حين لزم كلاهما الصمت فى انتظار أن ينطق بما لديه بشأنهما ..

وتحدث العميد (حرب) أخيرًا ، معاودًا الغوص فى مقعده :

- عيوننا حول الفندق يبرقون بأن هناك من استلم الحقيبة الآن من خزينة الفندق ..

سأل (عمر) متظاهرًا بالذكاء :

ـ رجل أم امرأة ؟!

قالت (دينا) باستخفاف :

ـ لعلك لاتتصور أن (مادلين) بنفسها هى من أتى ..

ـ لم أقصد ولكن ..

قطع العميد (حرب) حوارهما قائلاً دون أن ترتفع عيناه عن الشاشة أمامه :

ـ سيرسلون لنا بصوره على البريد الإلكترونى فى غضون ثوان ، وهو رجل بالمناسبة !

ثم إنه قرأ بضعة سطور قبل أن يقول :

ـ .. لقد غادر الفندق الآن واستقل سيارة أجرة ..

سأل (عمر) بعفوية :

ـ إلى أين ؟!

هزت (دينا) رأسها يمنة ويسرة متعجبة من غرابة

أسئلته ، وأجابه العميد (حرب) الذى انهمك أكثر وأكثر فى التابعة :

ـ هناك ثلاث سيارات مختلفة موزعة فى عدة شوارع تتابعه فى نظام مدروس حتى لا يتسرب إليه الشك فى أن هناك من يقتفى أثره ..

علق (عمر) بقوله :

هذا مطمئن ..

ضغط العميد (حرب) زر (إدخال) بقوة ، فظهرت على الشاشة أمامهما عدة صور رقمية عالية الجودة لمدخل الفندق ، الذى يغادره رجل يمسك بحقيبة جلدية سوداء ، وصور أخرى للرجل وهو يركب سيارة الأجرة ..

ومع حركة (الزووم) التى تحكمت فيها (دينا) عبر أزرار حاسبها ، ظهر الرجل بوضوح أكبر ..

فى أواسط الثلاثينات ، له شعر كستنائى ناعم وطويل مفروق من النصف ، وله لحية مهذبة تجعله أشبه بنجوم

السينما العالميين ، يرتدى قميصًا ذا أزرار علوية مفتوحة ، وبنطالاً واسعًا من قماش لامع ..

غمغم (عمر) بعد تفكير :

ـ لا يبدو مظهره مألوفًا لدى ..

قال العميد (حرب) وقد أسند ذقنه إلى قبضته المضمومة :

ـ سيتم البحث عن أوصافه المطابقة فى قاعدة بياناتنا الكبيرة ، سيستغرق هذا بعض الوقت لكن الأمل يجعل الصعب سهلاً !

قالت (دينا) محدقة فى ملامح الرجل :

ـ يبدو أن كل شىء معد بدقة سلفًا ..

أومأ العميد (حرب) برأسه ثم قال فى تأييد :

ـ عملية كهذه لا مجال فيها لخطأ هواة !

واستحوذ شىء ما فوق شاشة حاسبه على اهتمامه ، فمال نحوها قبل أن يقول :

ـ .. هبط صاحبنا من سيارة الأجرة أمام محطة القطار ..

ضرب (عمر) قبضتيه ببعضهما صائحًا فى ظفر :

ـ لم يعد هناك مجال للشك إذن !

صحح العميد (حرب) قوله بأن قال :

ـ مازالت النسبة فى حدود الـ ٧٠٪ !

هز (عمر) كتفيه قائلاً ببساطة :

ـ إنها نسبة معقولة للتحرك على أساسها فى كل الأحوال ..

أيدته (دينا) هذه المرة بقولها :

ـ أتفق معك ..

قفزت السعادة من عينيه ، عندما قال العميد (حرب) متناولاً مظروفًا مغلقًا من مؤخرة السيارة :

ـ وأنا بدورى أتفق معكما ..

ثم إنه أخرج جوازى سفر مغلقين من المظروف ، وناولهما إياهما بقوله :

ـ .. هاكما سندات هويتكما الجديدة ، هذان الجوازان خاصان بزوجين بريطانيىّ الجنسية ليتيحا لكما حرية التحرك فى أنحاء (أوروبا) كلها طبقًا لأى مستجدات ..

نظر (عمر) إلى صورته داخل الجواز ، والاسم المكتوب بجوارها مغمغمًا يقرؤه :

ـ (روبن ويفر) .. طبيب بيطرى ..

وكذلك فعلت (دينا) :

ـ (آنا لويد) .. طبيبة أسنان ..

قال العميد (حرب) مخرجًا ورقتين من داخل الظرف :

ـ السيدة (ويفر) كما تقضى الأعراف الغربية ..

وناولهما الورقتين متابعًا :

ـ .. هاتان تذكرتان للقطار حتى محطة (روتردام) ..

ثم ناولهما حافظة ممتلئة وقال :

ـ .. وهذا اعتماد مالى ضخم لكما حرية التصرف فيه ..

قال (عمر) مازحًا وهو يتناول الحافظة :

ـ حرية مسئولة بالطبع !

لم يضحك أحد لدعابته ، وانطلق العميد (حرب) يقول :

ـ لقد تم تجهيز كل شىء بسرعة خارقة كما تلاحظان ، فهى قضية أمن قومى على أعلى مستوى ..

باستهانة قال (عمر) :

ـ لاتخش شيئًا يا سيادة العميد ، سوف تذوق (مادلين) مرارة الفشل مرة أخرى ، هذا كل شىء !

هزت (دينا) كتفيها وقالت كأن الأمر لايعنيها :

ـ هذا إن كانت هى هدفنا بالفعل !

قال العميد (حرب) فى لهجة تقريرية كأنما لا يعنيه حوارهما هذا بالمرة :

- لكما حرية التصرف فى حدود تحقيق الأولويات التالية ..

ورفع خنصره متابعًا :

- .. أولاً : استعادة السيطرة على قواعد إطلاق الصواريخ ..

ثم بنصره :

- .. ثانيًا محاولة استعادة الأموال المأخوذة فكلها مأخوذة من خزينة الدولة ومن أموال المواطنين البسطاء ..

ثم وسطاه :

- ثالثا : معاقبة الفاعل بما يستحق ، بوسائل شرعية قدر الإمكان ..

وسبابته :

- .. رابعًا وأخيرًا ، وهو الأولوية الأولى فى كل الخطوات لو أعدنا الترتيب : المحافظة على الأمر فى طى السرية المطلقة ، وعدم تسرب حرف واحد لرجال

الإعلام المتلهفين لصيد ثمين كهذا ، وذلك لعدم إحراجنا كدولة فقدت السيطرة على واحد من أهم معالم قوتها الاستراتيجية ولعدم إثارة الذعر والقيل والقال بين مواطنينا الآمنين فى منازلهم ..

هتف (عمر) معتدلاً فى جلسته :

- سنفعلها بإذن الله ياسيادة العميد ، وسنخلص مدننا الثلاث الواقعة تحت رحمتها بعونه وعزيمتنا ..

قال العميد (حرب) دونما انفعال :

- ستهبطان فى الشارع التالى وتستقلان الباص العمومى حتى محطة الأوتوبيس ..

هذا أفضل قطعًا ..

قالتها (دينا) متفهمة الدوافع ، فى حين سأل (عمر) كطفل يأخذون لعبة من يديه :

- وسنهبط من هذه العربة الفارهة ؟!

* * *

٤

جلست (دينا) أمام (عمر) فى مقهى محطة القطار حاملة كوبها الورقى ، الذى رشفت منه رشفة قبل أن تسأله بالإنجليزية :

ـ أواثق من أنك لا تبغى شرب شىء ؟!

قال لها مداعبًا :

ـ ليس معنى الاعتماد المفتوح الذى فى حوزتنا أن نبدد الأموال هكذا دون تفكير ..

لم تفهم دعابته وقالت فى جدية شابها بعض الاستنكار :

ـ لقد دفعت ثمنه من مالى الخاص !

تلاشى المرح من على وجهه ليحل محله خيبة أمل ، لكنه مع ذلك سألها فاتحًا بابًا جديدًا للحوار :

ـ ما هذا ؟!

ـ (فرابتشينو) !

سألها مقطبًا :

ـ ماذا ؟!

رشفت منه ثم قالت مفسرة :

ـ قهوة مثلجة !!!

ازداد تقطيبًا وهو يسألها مرة أخرى :

ـ ماذا ؟!!!

هزت كتفيها وقالت واضعة الكوب على المنضدة الفاصلة بينهما :

ـ مشروبى المفضل منذ كنت فى الثانوية العامة ..

نظر إلى السائل البنى داخل الكوب ، وغمغم متسائلاً فى دهشة :

ـ حقًّا ؟! إنها المرة الأولى التى أسمع فيها عن شىء كهذا ..

قالت دون أن تلين لهجتها الصخرية :

- وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ..

- جدًّا !

وران الصمت بينهما ، أرسل (عمر) خلاله ببصره إلى ذلك الرجل الجالس أمام المشرب البعيد ، وأمامه عبوة (بيرة) خضراء ..

نفس الرجل الذى رأى صورته فوق شاشة الحاسب الآلى النقال منذ قليل ، بملامحه السينمائية الوسيمة ، ولحيته وشعره الطويلين ..

ثم إنه عاود النظر إلى وجه (دينا) المليح ، يسألها مبتسمًا :

- هذه المرة الثانية التى نعمل فيها معًا كزوجين .. أليس كذلك ؟!

- بلى ..

أجابته فى اقتضاب ، لكنه تجاوز ذلك وقال ما أراد قوله :

- لماذا إذن أشعر وكأنها المرة المئة ؟!

سألته عاقدة حاجبيها باستفهام :

- ماذا تعنى ؟!

تراجع بظهره إلى الخلف ، واتسعت بسمته إذ قال :

- الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف !

استندت بمرفقيها إلى المنضدة ، ونظرت إلى عينيه مباشرة لتسأله بلهجة صريحة وحادة وقاطعة :

- لماذا لا تحاول أن تكون أكثر وضوحًا ؟!

تألقت عيناه بالبريق وهو يقول مندفعًا :

- سأكون ، مادام هذا هو طلبك ..

ومال نحوها بدوره ليقول فى جدية تخللها بعض النزق :

- .. أريد أن أقول يا فاتنتى : إننى أتمنى أن يكون زواجنا هذا حقيقة !

جفلت وقتًا طال ، قبل أن تسأله وهى تحدق فى نقطة ما خلفه :



ومال نحوها بدوره ليقول فى جدية تخللها بعض النزق :
ـ .. أريد أن أقول يا فاتنتى : اننى أتمنى أن يكون زواجنا هذا حقيقة ؟! ..

ـ ألم يعلموك فى الإدارة أن الأولوية للعمل فى وقت العمل ؟!

أحنقه قولها فهتف :

ـ بالطبع .. لكن ، ما علاقة هذا بما أقوله الآن ؟!

ثم إنه استطرد دون أن يمنحها فرصة التفسير :

ـ .. إن الناس تتزوج فى كل الظروف ، السلم والحرب ، الفقر والغنى ، العمل والراحة ، وليس معنى أنـ ....

قاطعته ملتفتة إلى الخلف فجأة :

ـ لقد نهض الرجل الذى نتابعه منذ جلسنا ..

وأشارت بيدها متابعة :

ـ .. إلى هذه الجهة !

نظر إلى مقعد الرجل الخاوى ، وإلى عبوة (البيرة) المستكينة فى مكانها بكل وداعة ، وإلى الجهة التى أشارت نحوها (دينا) قبل أن يقول فى حرج :

ـ إحم .. لم أنتبه لهذا مطلقًا !

نهضت على الفور قائلة فى عمليتها المعتادة :

ـ لعلك أدركت الآن أهمية سؤالى ..

وانطلقت إلى حيث أشارت ، بينما نهض هو سائرًا فى إثرها بوجه مخضب بحمرة الخجل ، مغمغمًا بينه وبين نفسه :

ـ دائمًا لا تحسن انتقاء الوقت المناسب ..

وأردف ضاربًا صدغه بقبضته فى سخط :

ـ .. أيها الغبى !

وإذ غادر المقهى وجد (دينا) واقفة تجيل بصرها فى سرعة فى كل ما حولها ، وحذا هو حذوها ، قبل أن تلتفت إليه قائلة فى ضيق بلا حدود :

ـ لقد فقدناه فى الزحام ..

ولم يجد (عمر) فى نفسه القدرة على النطق بحرف ..

وتمنى لو ذاب هو نفسه فى زحام الرصيف ..

لكنه قال فى النهاية مسلمًا بالأمر الواقع :

ـ إنه .. إنه معنا فى القطار نفسه على أية حال !

وعاد الصمت يغشاه إزاء نظرات اللوم الصريح التى سددتها (دينا) نحوه ..

★ ★ ★

دق العميد (منصور حرب) الباب بيده فى تتابع مدروس ، قبل أن ينفتح أمامه ، ليبرز من خلفه ذلك الشاب النحيف ذو الشارب الكث ، فدلف على الفور وانغلق الباب خلفه قبل أن يقول فى إرهاق :

ـ كيف الحال يا (نادر) ؟!

أجاب (نادر الشريف) وقد تحكم فى نبراته الجهورية أخيرًا :

ـ نحنِ نوافيك بالجديد عبر فضاء (السايبر) أولاً فأولاً يا سيادة العميد ..

خلع العميد (حرب) معطفه وألقاه فوق أول أريكة قابلها ، ونظر إلى الغرفة التى ظهر خلفها اثنان من

المنكبين على أجهـزة الحاسوب المتطورة ، قبل أن يسأل فاركًا عينيه الحمراوين :

- هل ركبا القطار ؟!

نظر (نادر) إلى ساعة الحائط التى أشارت إلى تجاوز الوقت للرابعـة بعد الظهر بعدة دقائق ، ثم هز كتفيه قائلاً :

- من المفترض أن يكون هذا قد حدث ..

واستدرك عندما نظر إليه العميد (حرب) متسائلاً :

- .. لكنهما لم يرسلا بشىء بعـد ، وكذلك عيوننا التى تتابعهم فى المحطة ..

غمغم الرجل بلهجة تحمل كل إرهاق الدنيا :

- كان اللّه فى عونهما ..

قال (نادر) وهو يرمق أستاذه فى شفقة :

- لم لا تستريح قليلاً ، عميد (حرب) ؟! إننـى أراك فى أمس الحاجة لبعض الراحـة حتى تستطيع أن تواصـل العمل !

تساءل (منصور) متهكمًا :

- الراحة ؟! ومن يمكن أن يستريح فى ظل مـا يحدث يا فتى ؟!

حاول (نـادر) أن يقول شيئًا ، لكن العميد (حرب) سبقه بالقول مشيرًا إلى باب دورة المياه القريبة :

- .. سوف أضع رأسى تحت مياه الصنبور الدافئة قليلاً ، علنى أستعيد بعضًا من حيويتى المفقودة ..

هز (نادر) رأسه بالإيجاب ، ولاحقت عيناه المتأثرتـان العميد (حرب) حتى اختفى خلف باب دورة المياه ..

- هنيئًا لك يا (مصر) بعشاقك ..

غمغم بها (نادر) وعاد يتابع عمل خبيرى الحاسـوب والاتصـالات ، فـى حين غمرت الميـاه فذال العميـد (منصور حرب) ، ثم أغرقت شعر رأسه الأشيب قبل أن تنداح على وجهه فى مسارات متسعة ..

ورفع الرجل رأسه فى سرعة ، وطفق ينظر إلى وجهـه المبتل فى مرآة الحمام ، كأنه يرى نفسه لأول مرة ..

هل مر كل هذا العمر حقًا يا (منصور) ؟!

كبرت يا رجل ، ولكل شعيرة بيضاء فى فروة رأسك قصة تستحق أن تروى لأجيال تلو أجيال ..

لكنه الذى ارتبطت به وارتبط بك ، ربما من قبل حتى أن تولد ..

مصيرك ..

قدرك ..

المكتوب ..

سمه ما شئت ، لكنه ذلك الذى سيودعك أمام قبرك بالورود والرياحين ، لتغادر هذه الدنيا كما أتيت إليها ..

وحيدًا ومجهولاً وغريبًا ..

تموت فتنقطع كل الأسباب التى تربطك بهذا العالم ، إلا هو ..

تلميذك ، وابنك الذى لم تنجبه ..

(عمر زهـ ..) ..

- عميد (حرب) ..

رج النداء الجهورى أركان الشقة الآمنة ، وهى نتيجة طبيعية جدًا عندما يكون (نادر) هو من رفع عقيرته بالنداء ..

اندفع العميد (حرب) عدوًا نحو الغرفة التى يعمل بها الخبيران ، وكاد يصطدم بـ (نادر) فى الطريق ..

- ما الخطب ؟! هل أصابهما مكروه ؟!

سأل العميد (حرب) وقد جعله الانفعال يلهث ، فأجابه (نادر) كمن صعقه تيار كهربى قوته ألف فولت :

- نتيجة جديدة أبرقت لنا الإدارة فى (القاهرة) بها الآن ..

- أرنى إياها ..

اندفع العميد (حرب) بعد أن قالها إلى الغرفة ،

والتهمت عيناه الحادتان تلك التفاصيل الكثيرة المتراصة على الشاشتين الكبيرتين ، ولحق به (نادر) فى سرعة ليقول مفسرًا :

ـ لعلك لا تعرف هذا الرجل يا سيادة العميد !

قالها ثم أشار إلى صورة ارتسمت فى ركن إحدى الشاشتين ، لكهل أشيب الفودين ، قصير الشعر ، مربع الوجه أجعده ، وقد أحالته زرقة عينيه إلى نسخة شبه مطابقة لـ (أنتونى هوبكنز) !

أمعن العميد (حرب) النظر فيها قبل أن يقول ضاغطًا أسنانه بين فكيه :

ـ لا تسعفنى الذاكرة ..

قال (نادر) مستطردًا :

ـ إنه أحد ركاب القطار ، مر على رجالنا فى (فرنسا) مرور الكرام إذ لم يتبينوا فيه شخصية خطرة مقارنة بقاعدة البيانات المتوفرة لديهم ، لكن الصدفة وحدها جعلت أحد رجالنا فى مكتب (القاهرة) يتعرفه ..

وازدرد (نادر) ريقه بصوت مسموع قبل أن يكمل :

ـ .. ولعمرى إنها صدفة خير من ألف ميعاد !

ـ من هذا الرجل يا (نادر) ؟!

ـ استعد يا سيادة العميد لتعرف هويته ، فقد يغير هذا لك مفاهيم كثيرة خاصة بالمهمة ، بل ربما يقلبها كلها رأسًا على عقب ..

ـ كف عن الثرثرة يا (نادر) وتكلم جملاً مفيدة ..

ـ وتكلم (نادر) ، فكانت مفاجأة بحق ..

★ ★ ★

ـ لحقنا به فى اللحظة الأخيرة لحسن الحظ !

قالها (عمر) مغتبطًا وهو يشق طريقه بين كبائن الدرجة الأولى ، فى حين قالت (دينا) بلهجة تلميح غير مريح :

ـ الذنب على من جعلنا نتأخر !

تحاشى النظر إليها ، فاصطدم على الرغم منه بشخص ما ..

- معذرة يا سيدى ..

قالها (عمر) معتذرًا فى تهذيب للرجل الكهل ذى الفودين الأشيبين ، والشعر القصير ، والوجه المربع الأجعد ، والعينين الزرقـاوين كـالبحر ، الواقف أمـام إحدى النوافذ ..

- لا مشكلة ..

نطق بها الرجل فى صرامة أمريكية قحـة ، جعلت (عمر) يختفى مـن أمامـه بسرعة مواصلاً طريقـه إلى الكابينة الواقعة فى نهاية العربة ..

- ألا يشبه هذا الرجل (أنتونى هوبكنز) ؟!

سألها (عمر) وقد وجد الفكرة العجيبة تضـرب رأسه ، فأجابته (دينا) :

- ربما لو كان أنحف قليلاً ..

- ها هى ذى الكابينة ..

.. ودلف إليها دون تأخير ..

- ماذا يمكن أن نفعل الآن ؟!

سألته (دينا) مرسلة عينيها إلى المناظر الخلابـة المترائية عبر الزجاج الجانبى ، فتراخت أطرافه على مقعده الواسع ، قبل أن يقول مسبلاً جفنيه :

- دعينى أفكر !

قالت والتهكم يتخلل نبراتها :

- ظننتك ستقول شعرًا إزاء هذه المنـاظر الخلابـة التى تمر بنا ..

أشاح بيده وقال دون أن يفتح عينيه :

- ما بى مزاج للشعر الآن !

ثم فتحهما أخيرًا قائلاً كأنه (أرشميدس) :

- .. وجدتهـا .. سنبحث عن الرجل الذى فقدناه فى كل ركن من القطار !

سألته بنوع من الاستخفاف :

- ألن يثير فينا هذا بعض الشكوك ؟!

قال مبتسمًا فى ذكاء :

ـ ليس إذا تخفيت فى الزى الرسمى لكشاف التذاكر !

وفسر قوله عندما نظرت إليه فى غير فهم :

ـ .. سأستولى على زى أحدهم ، و ....

بتر عبارته عندما وجدها تفتح حاسبها الآلى النقال ضاغطة أزراره فى سرعة ، فسألها عاقدًا حاجبيه :

ـ .. ماذا تفعلين ؟!

قالت دون أن تنظر إليه :

ـ أرسل للعميد (حرب) لأسأله ، عن رأيه فى خطة كهذه ..

هتف بها محنقًا :

ـ ظننتك سمعته مثلى يتحدث عَن حريتنا فى التصرف ..

هزت كتفيها وقالت فى لا مبالاة :

ـ الاحتياط واجب ..

أثار تصرفها غضبه إلى أقصى حد ، لكنه لم يملك إلا أن يغمغم محنقًا :

ـ يالك من عنيدة ..

وفوجئ بها تحدق فى ركن شاشة الحاسب الآلى ، قائلة وحاجباها الرفيعان المرسومان بدقة ينعقدان :

ـ ما هذا ؟! يبدو أن العميد يرسل لنا ليخبرنا بشىء !

وقبل أن يسألها عن ماهية هذا الشىء ، سمع باب الكابينة الخاص بهما ينفتح بعد طرقة خفيفة فوقه ..

ـ اعتدلى ..

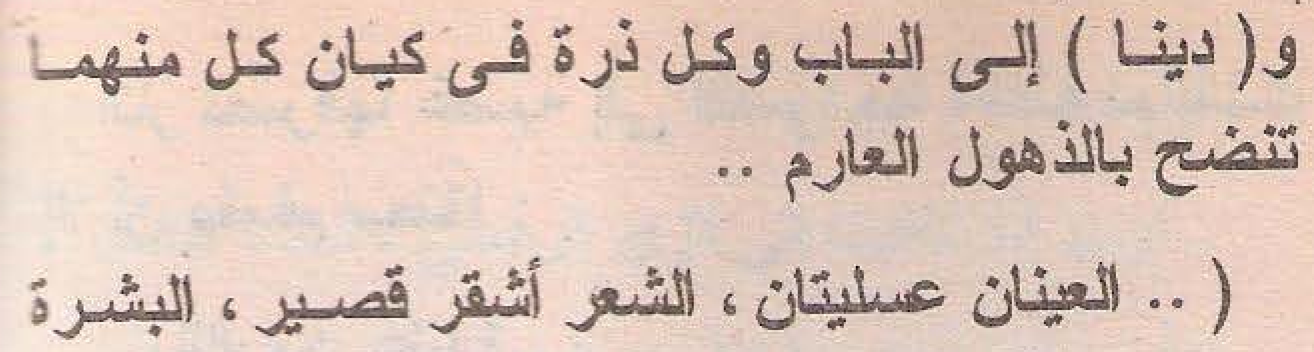
قال لها محذرًا وهو يعتدل فى مجلسه ..

ـ .. لا بد وأنه كشاف التذاكر !

لكنه لم يكن كذلك ..

ـ مساء الخير ..

نطقها صوت أنثوى بالفرنسية ، فاستدار (عمر)



و(دينا) إلى الباب وكل ذرة فى كيان كل منهما تنضح بالذهول العارم ..

(.. العينان عسليتان ، الشعر أشقر قصير ، البشرة بيضاء إلى حد مستفز ، والجمال متوسط) ..

- (مادلين) ؟!

غمغم بها (عمر) ذاهلاً ، وهو يرمقها فى جلستها على مقعدها المتحرك ، الذى لايدفعه من خلفها أحد ..

- لم تنسنى بعد يا عزيزى ..

وانفجرت ضاحكة قبل أن تضيف :

- أنا الأخرى لم أنسك أبدًا منذ لقائنا الأخير ..

وعادت تضحك ، ليمتزج صوت ضحكها بهدير العجلات المنتظم فوق القضبان ..

* * *



٥

ـ سأسمح لكما بدقيقة من الدهشة ، ولكن أسرعا .. القطار سيصل محطته القادمة بعد أقل من ربع ساعة ..

قالتها (مادلين) وهى تغلق باب الكابينة خلفها ، ثم تستدير إليهما من جديد ، لتجد (عمر) يغمغم محاولا الإفاقة من تأثير المفاجأة بسرعة :

ـ إنه أنت أذن !

ارتفعت ضحكتها مرة أخرى ، قبل أن تقول ناظرة إليه فى عبث :

ـ لاتكن بهذه الحماقة يا عزيزى (عمر) ، ولاتجعلنى أطلق هذا النعت الوقح على شخص أنقذ حياتى فى يوم من الأيام ..

سألتها (دينا) متجاوزة المفاجأة ، ومعدلة من وضع منظارها فوق أنفها :

ـ لكنك على علم بما يجرى بكل تأكيد .. أليس كذلك ؟!

لمعت عينا (مادلين) وهى تلتفت إليها فى جذل ، قائلة :

ـ لمستُ فيك حسن تنظيم الأفكار وألمعية الأسلوب برغم نطاق تعاملى الضيق معك فى المرة السابقة يا فتاة (مصر) !

ثم اتسعت بسمتها وهى تردف مجيبة عن سؤالها :

ـ بلى .. أنا أعلم كل شىء ..

سألها (عمر) بلهجة هجومية جافة وقد ضايقه التقريع الذى يتلقاه من الأصدقاء والأعداء على حد سواء :

ـ وما مدى مسئوليتك عن هذه الأشياء التى تعرفينها ؟!

أجابته (مادلين) دون أن تزول بسمتها :

ـ لاشىء أكثر من المعرفة والإلمام بأغلب الجوانب ، إن عددت هذه مسئولية ، نقيب (عمر) !

قال (عمر) متصنعًا الحذق :

ـ لعلك إذن تعلمين أن هناك قمرًا صناعيًا ومزودات SMS عليها جميعًا بصمات المؤسسة التى تترأسينها !

هزت (مادلين) رأسها موافقة وقالت :

ـ أعلم .. وعليك أنت أن تعلم أن (تكنوتل) بفروعها تقوم بتأجير ممتلكاتها وخدماتها لمن يقدر على دفع المقابل ..

سألت (دينا) مستعيدة هدوءها الواثق :

ـ ومن المؤجر يا مدموازيل ؟!

عادت (مادلين) تنظر نحوها بعينين تألقتا بالإعجاب ، قبل أن تقول مبادلة هدوءها بهدوء أشد ، وثقتها بثقة أكبر :

ـ لهذا أنا هنا الآن .. لأخبركما بكل ما أعرفه من حقائق ربما كانت خافية عليكم حتى هذه اللحظة ..

ضحك (عمر) هذه المرة ، وقال مستخفًا :

ـ أنت هنا لتساعدينا إذن ؟!

ـ أجل ..

ـ ولماذا هذه المرة ؟! هل اكتشفت فجأة أننا الأخيار ذوو العباءات البيضاء فقررت الانضمام لمعسكرنا ؟!

هزت (مادلين) رأسها متأنية بالنفى ، ثم قالت بلهجة عميقة :

ـ الخير والشر ، والأبيض والأسود ، هذه مسائل نسبية دائمًا ..

وتنهدت قبل أن تواصل بلهجة أعمق :

ـ .. السبب فى وجودى هنا لأساعدكم هو ذاكرتى القوية .. نعم ، ذاكرتى القوية التى لاتنسى الإساءة أبدًا وتصر على ردها أضعافًا للمسىء .. إنها عين الذاكرة التى لاتنسى الإحسان وتصر على رد الجميل إلى المحسن بأى وسيلة متاحة ..

ورفعت عينيها ناظرة إلى (عمر) ، وأردفت بصدق :

ـ .. إن لك فى عنقى دين يا عزيزى .. دين يقدر بحياتى كلها ..

تنحنح (عمر) وحاول أن يقول شيئًا لكن الحرج أعجزه ، فعلقت (دينا) مغمغمة وهى تنظر إلى شاشة حاسبها النقال المفتوح بجوارها :

- ربما كان هذا لحسن حظنا فى هذه المرة بالذات ..

تابعت (مادلين) مستعيدة ابتسامتها ، كأنها لم تسمع ما قالته (دينا) :

- ولعل هذا بالتحديد هو ماجعلنى أحجم عن ممارسة هوايتى المعتادة فى تقمص دور النجمة ، التى تظهر دومًا فى ختام العرض لتقلب المسار الدرامى للأحداث .. فهأنذا أتقمص هذه المرة دور الراوى الذى يظهر قبل فتح الستار !

قال (عمر) مبتسمًا على الرغم منه :

- سنتعامل كأصدقاء إذن ..

رفعت (مادلين) سبابتها وقالت مصححة :

- فى هذه المرة فقط ، وسيقتصر دورى على إخباركما بما لدىّ قبل هبوطى فى المحطة القادمة ..

هز كتفيه قائلاً فى رضا :

- يمكننى أن أقبل بهذه الشروط ..

سألته (مادلين) فجأة متخذة سمتًا جادًا :

- هل تعرف الكولونيل (أندرو كليدمان) ؟!

أجرى (عمر) مسحًا ضوئيًا سريعًا على ذاكرته ، قبل أن يجيبها بعدم اكتراث :

- لم أحصل على هذا الشرف !

هزت (مادلين) رأسها كأنها كانت تتوقع إجابة كهذه ، ثم انطلقت تقول :

- إنه كولونيل سابق فى قوات المشاة الأمريكية ، فى نهايات الأربعينات من عمره ، خدم فى (حرب الخليج) وانتدب وقتًا طويلاً للعمل فى قوات حفظ السلام الدولية مما أتاح له التنقل فى عدد كبير من دول العالم ، وعاد منذ سنين قليلة إلى صفوف القوات الأمريكية قبل أن يتقاعد منذ ثلاثة شهور فقط لا غير ..

ثم إنها أردفت موضحة :

- .. لقد كان ضمن الفريق الأمريكى الذى استعانت بلادك بخبراته لتطوير أنظمة الاتصالات بين وحدات الجيش لديكم العام الماضى !

سألها (عمر) وقد أوجس من قولها خيفة مبهمة :

- وما معنى هذا ؟!

هزت (مادلين) كتفيها وقالت ببساطة شديدة :

- استنتج أنت !

وسألتها (دينا) فى اهتمام بالغ :

- وهل هو من استأجر منك - أعنى من المؤسسة التى ترأسينها - القمر الصناعى ومزودات الرسائل القصيرة ؟!

- كنت محقة فى الإطراء على سرعة بديهتك يا فتاة (مصر) !

ثم إنها أجابت :

- كلا ، ليس هو .. وإنما فتى فى التاسعة عشرة

من العمر ، أمريكى الجنسية اسمه (إريك ماسلاند) .. درس علوم الحاسب والشبكات عن بعد عبر الشبكة ، ونال عدة شهادات دولية معتمدة ، ثم عمل ردحًا من الزمن فى شركات الدوت كوم قبل أن تنهار اقتصاديًا فى (وادى السليكون) .. وأكسبه هذا الكثير من الخبرة والحنق ..

- وما علاقته بالكولونيل (كليدمان) ؟!

سألها (عمر) مستفهمًا ، فأجابته على الفور :

- ابن شقيقته ..

غمغمت (دينا) متفهمة :

- هكذا إذن !

- وقد تقدم بطلب حجز أجهزتنا هذه منذ ثمانية شهور تقريبًا ، دافعًا لنا مبلغًا يتجاوز الخمسة ملايين دولار أمريكى !

قالتها (مادلين) فى لهجة تقريرية ، فسطع ضوء ما فى ذاكرة (عمر) القريبة ..

* * *

(.. ووجدناها محجوزة منذ ما يقرب من عام كامل باسم ..) !

★ ★ ★

ـ يا للصبر !

نطق بها (عمر) فى خفوت شديد كأنه يناجى نفسه ، وترجمت (دينا) عبارته إلى جملة مفيدة :

ـ إنهم يخططون لهذا الأمر منذ مدة كبيرة !

وانطلق (عمر) كالقذيفة يسألها :

ـ ماذا عن الرجل الذى تسلم حقيبة النقود ؟! هل تعرفين عنه شيئًا ؟!

أومأت (مادلين) برأسها أن نعم ، ثم استطردت :

ـ إنه أخطرهم .. (أنتونى فنتى) .. ربما يكون اسمًا مستعارًا لكنه أكثر الأسماء التى استخدمها هذا الرجل الزئبقى .. قاتل محترف وإرهابى متمرس يؤجر

خدماته القذرة لمن يدفع ، وقد اقترن اسمه بأشهر العمليات التى تبنتها منظمات إجرامية عتيدة ليس أكبرها (المافيا) ..

سألها (عمر) فى شىء من الاستهانة :

ـ وما علاقة هذا الأخ بالخال وابن الأخت ؟!

ابتسمت (مادلين) بطريقة عفوية وهى تجيبه :

ـ استأجره الكولونيل (أندرو) بعد أن تقاعد مباشرة عبر صفقة تمت من خلال وسيط على شبكة المعلومات ، ومعلوماتى تقول إنه ـ الكولونيل ـ يدفع له منذ وقتها راتبًا شهريًا يساوى خمسين ألف دولار يتم تحويلها على حساب سرى فى بنك سويسرى شهير ، وهو مقيم فى (لوكسمبورج) منذ عدة أيام طبقًا للخطة الموضوعة بخصوص هذه العملية الإرهابية ..

ـ وما نصيبه من هذه الصفقة بخلاف الراتب ؟!

سألتها (دينا) ، فأجابت :

ـ معلومة غير مؤكدة تقول إن نصيبه الثلث من المبلغ المدفوع ..

سألتها (دينا) مجددًا :

- ومن أين للكولونيل المتقاعد بهذه المبالغ الطائلة ؟!

فأجابت :

- لا علم لى ، هذا يتجاوز حدود معلوماتى .. لكن ، التخمين ليس صعبًا إلى هذه الدرجة يا عزيزتى ..

سألها (عمر) هذه المرة :

- ومن أين لك بكل المعلومات السابقة ؟!

رفعت (مادلين) سبابتها قائلة فى زهو :

- قلتها لك من قبل ، وسأقولها لك مرارًا إذا التقينا فيما بعد : عندما يتعلق الأمر بالتكنولوجيا ومصادر المعلومات فلا تسأل (مادلين تشايمر) أبدًا مثل هذه الأسئلة البلهاء !

سألتها (دينا) مخفية امتعاضها :

- هل من آخرين يشاركونهم فى هذه العملية ؟!

- كلا .. هؤلاء الثلاثة هم الإرهابيون الذين يهددون

أمن وطنكما عبر برنامج بسيط جدًا للتحكم ، صممه الفتى (إريك) بنفسه ..

قال (عمر) باستنكار غير خاف :

- وكيف تسنى لهذا الغر أن يتسلل إلى أنظمتنا العسكرية ، التى يفترض أنها مؤمنة بأفضل السبل ؟!

أجابته (دينا) مغمغمة :

- عبر باب خلفى !

واستطردت (مادلين) من جديد :

- أنت محقة يا فتاة .. (السيناريو) الوحيد الذى يفرض نفسه فى هذا الأمر هو أن البرامج التى وضعها لكم الخبراء الأمريكيون - ومن بينهم الكولونيل (كليدمان) - فى أجهزة التحكم العسكرية كانت مزودة بأبواب خلفية خفية وضعت بمهارة بحيث لاتكتشفونها طوال عام كامل ..

أراد (عمر) أن يقول :

- تعنين أن ...... ؟!

لكن (مادلين) سبقته بالقول :

ـ لست أفترض سوء النية فى بعثة الخبراء كلها ، لكن الأمر تم تدبيره بين (كليدمان) وابن شقيقته بطريقة ما حتى يتسنى للأخير أن يتسلل إلى الأنظمة فى الوقت المحدد ، أعنى فجر اليوم ..

أمنت (دينا) على قولها مغمغمة فى ضيق :

ـ بالفعل ، هذا هو التصور الوحيد الأقرب للمعقولية ..

وهتف (عمر) بانفعال ساخط :

ـ وهؤلاء الإرهابيون معنا الآن فى هذا القطار ؟!

أجابته (مادلين) ببسمة أظهرت بياض وجهها أكثر :

ـ لا يبعدون عنكما إلا بمقدار ثلاث كبائن شمالاً !

فى دهشة قالت (دينا) لتتأكد :

ـ أى أنهم معنا فى نفس عربة القطار ؟!

ـ بالضبط ..

صاح (عمر) وقد أغمض عينه اليسرى شكًا :

ـ وما يدرينا أنك تقولين الصدق فى كل ما سلف ؟! ألا يحتمل أنها لعبة أخرى تلعبينها لتضليلنا ؟! وأنك أنت فعلاً من يقف وراء هذا الإرهاب ؟!

لوحت (مادلين) بكفيها وقالت مبررة موقفها :

ـ لقد أتيت دون أسلحة أو رجال أو ...

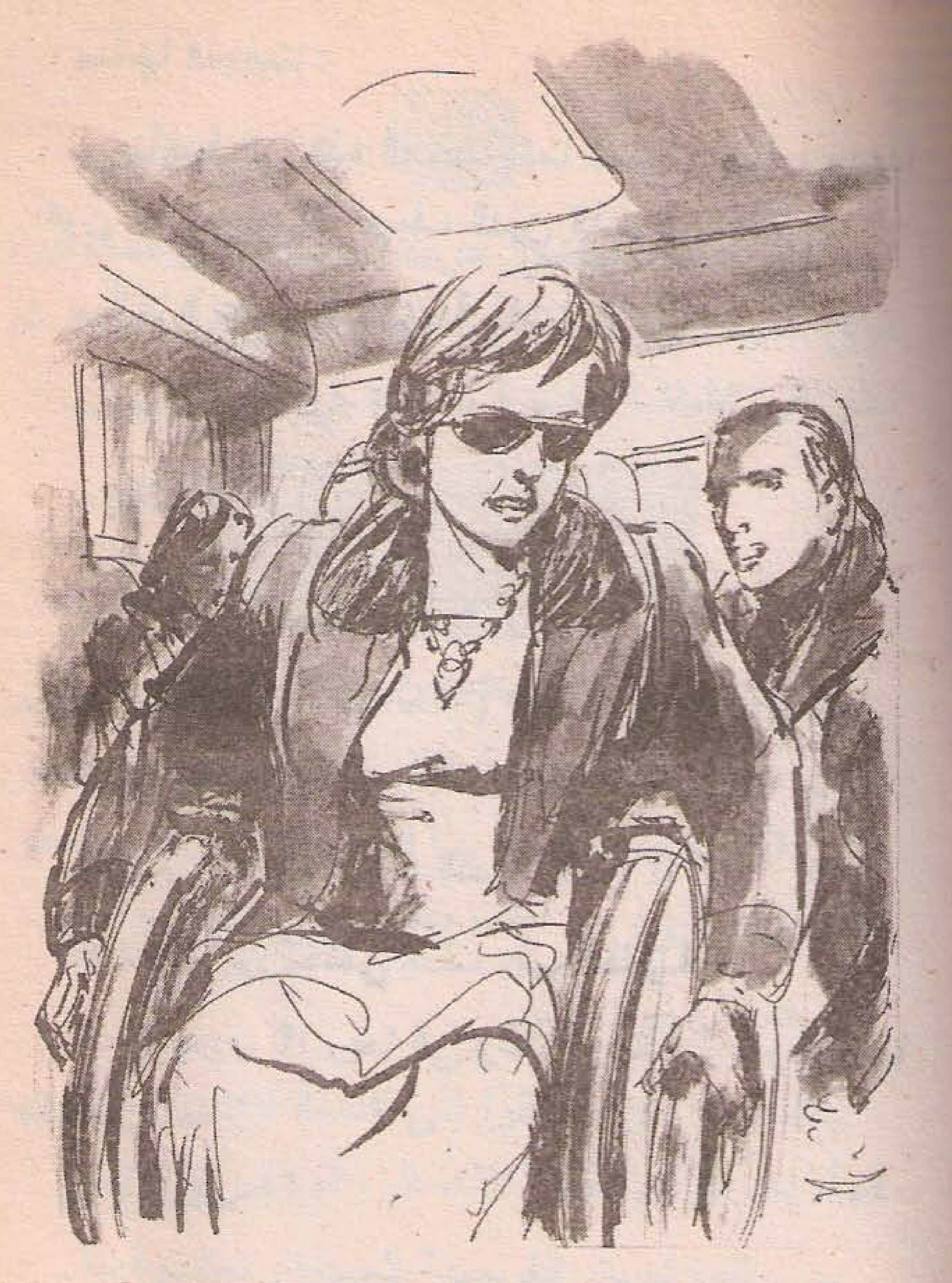
ـ إنها صادقة تمامًا !

ند القول عن (دينا) التى تنظر نحو شاشة حاسبها النقال ، فالتقت عيون الأثنين عند وجهها فى تساؤل ، قبل أن تدير شاشة الحاسب نحوهما قائلة :

ـ .. انظر ماذا أرسل لنا رجال الإدارة عبر البريد الإلكترونى ..

(.. أشيب الفودين ، قصير الشعر ، مُربع الوجه أجعده ، وقد أحالته زرقة عينيه إلى نسخة شبه مطابقة لـ ....)

ـ (أنتونى هوبكنز) !



فقالت (مادلين) وهى تدير مقعدها فى الحيز الصغير داخل الكابينة :
ـ ادخره لظروف أفضل من هذه ....

هتف بها (عمر) وقد اتسعت عيناه متذكرًا التصادم الذى تم منذ دقائق معدودة ، فى حين قالت (مادلين) بمنتهى الثقة :

ـ هذا هو الكولونيل (كليدمان) بالفعل !

قالت (دينا) :

ـ يقولون أيضًا إنهم توصلوا إلى هوية متسلم الحقيبة ، والبيانات مطابقة لما قالته المدموازيل بدرجة كبيرة !

نظر (عمر) نحو (مادلين) قائلاً وهو يهرش رأسه الأصلع :

ـ فى هذه الحالة أنا مدين لك باعتذار صغير ..

رن جرس منغوم عبر مكبرات الصوت المنتشرة فى أنحاء القطار ، مع انخفاض سرعته التدريجية كما بان من خلال الزجاج والمناظر المتعاقبة ، فقالت (مادلين) وهى تدير مقعدها فى الحيز الصغير داخل الكابينة :

ـ ادخره لظروف أفضل من هذه ..

ـ إلى أين الآن ؟!

سألها فأجابت :

ـ سأهبط فى هذه المحطة كما أسلفت لكما ، وبهذا أكون قد سددت لك نصف الدين الذى فى عنقى ..

سألها (عمر) فى لهجة ذات مغزى :

ـ وسنلتقى ثانية ؟!

ـ بالتأكيد ..

وتابعت فاتحة باب الكابينة :

ـ .. لكننا قد لا نكون صديقيْن وقتها ..

عاد يسألها :

ـ ومتى تردين نصف الدين الآخر ؟!

قالت قبل أن تختفى خلف باب الكابينة :

ـ من يدرى ؟! ربما فى وقت قريب .. أقرب مما تتصور ..

.. واختفت !

★ ★ ★

٦

وضع العميد (منصور حرب) ، سماعتين ضخمتين فوق أذنيه ، وقرّب ذراع المذياع الدقيق من فمه ، ثم نظر إلى الشاشة الكبيرة أمامه ..

نسبة التأمين ١٠٠ ٪

وظهرت صورة اللواء (عفت حفنى) خلف مستطيل النص ، الذى اختفى سريعًا ليُظهر اللواء فى بث رقمى عالى الجودة من مكتبه بـ (القاهرة) ، يراجع بعض الأوراق فى يده من خلف منظار طبى دقيق وأنيق ..

ـ عميد (حرب) !

هتف بها اللواء ناظرًا إلى عدسة الكاميرا الرقمية فجأة بعد أن تم تأمين الاتصال ، ثم قال على الفور :

ـ .. إنها ليست الفرنسية الحسناء كما توقعنا ..

ـ وصلتنا المعلومات التى أبرقت بها (دينا واصف) يا سيدى ..

ـ امرأة غريبة !

ـ (دينا) ؟!

ـ الفرنسية بالطبع !!

قالها اللواء خالعًا منظاره، فهز العميد (حرب) رأسه قائلا:

ـ التقارير النفسية التى وضعها خبراؤنا تقول وتسهب عن الاضطرابات السيكولوجية التى عانت منها، بعد حادث الشلل النصفى الذى أصابها منذ سنين .. يذكرون الكثير من المصطلحات لكنهم يتفقون بالذات على (الاكتئاب ثنائى القطبية) الذى ظلت تعالج منه شهورًا طويلة بعد الحادث مباشرة ..

ثم إنه التقط أنفاسه وأضاف:

ـ ... ما أريد قوله إنه من الصعوبة بمكان أن تتنبأ

بما يمكن أن تفعله امرأة لها هذه النفسية المفعمة بالعقد والاضطرابات ..

ـ اطلعت على بعض هذه التقارير بنفسى، عميد (حرب) ..

ـ لقد تابعتها عيوننا بعد أن هبطت من القطار منذ دقائق ..

ـ وماذا فعلت ؟!

ـ استقلت القطار العائد إلى (لورين)، والذى كان ينتظر على الرصيف المقابل !

ـ لم أقل هناك أحد فى انتظارها ؟!

ـ لا أحد .. عادت بمفردها كأنها أتت بمفردها فعلاً !!

ـ ألم أقل لك إنها امرأة غريبة ؟!

ـ لا ننكر يا سيدى أنها قد أفادتنا كثيرًا جدًّا بمساعدتها، برغم أننا كنا قد توصلنا لبعض المعلومات التى أدلت بها إلينا بالفعل ..

وراح العميد (حرب) يستخدم أصابعه فى العد :

- .. أولاً : اختصرت علينا الوقت الكثير اللازم للتأكد من دقة المعلومات ، وثانيًا : نفت شكنا فى تورطها ، وثالثًا : قامت بتوصيل الكثير من النقاط المتباعدة لتضع أمامنا صورة شبه مكتملة الملامح ..

- وماذا عن الإرهابيين الذين مازالوا يتحكمون فى مصيرنا ؟!

- لا جديد يا سيدى ، سوى أن العيون نفت نفيًا قاطعًا أن يكونوا هبطوا فى المحطة السابقة ..

- ماذا عن احتمالية التنكر ؟!

- لم تفت هذه النقطة عن عيون محترفة كعيوننا !

- ألا يحتمل أن يهبطوا فى إحدى المحطات القادمة ؟!

نظر العميد (حرب) إلى خريطة رقمية تحتل شاشة الحاسوب الآخر ، وتوضح مسار القطار الذى يستقلونه ، قبل أن يقول :

- محتمل جدًا يا سيدى خاصة وأنهم قد نالوا مطلبهم .. هناك محطة واحدة قادمة فى (لكسمبورج) يتوقف فيها القطار بعد حوالى الثلث ساعة ، وتلك نملك فيها عددًا من العيون .. ثم يدخل بعدها القطار إلى حدود (ألمانيا) لتقابله أربع محطات قبل المحطة الرئيسية فى (فرانكفورت) .. وللأسف لسنا نملك أى عيون فى هذه المحطات !

حاول تغطية هذا العجز بسرعة ، عميد (حرب) ..

- بدأنا فى ذلك فعلاً ، لواء (حفنى) ..

- وماذا عن تلميذك النجيب ورفيقته الحسناء ؟!

- لم نتلق منهما جديدًا ، ولم نبرق لهما سوى باستلامنا معلوماتهما الجديدة ..

- وما المفترض أن يفعلاه ؟!

- مازالت لهما حرية التصرف يا سيادة اللواء ..

- أنت تضع فيهما ثقة كبيرة فى وضع متأزم بشدة ..

- ستمر الأزمة بسلام إن شاء الله يا سيدى ..

- لنأمل هذا ، عميد (حرب) ..

قالها اللواء (حفنى) ، ثم أردف بلهجة فاحت منها رائحة الخطر ..

- .. فصواريخنا الآن - كما نعلم - تقع تحت تصرف فتى طائش لم يبلغ سن الرشد ، ويمكن أن نفاجأ بها وقد انطلقت لتدمر مدننا الثلاث ، وتجعلها هشيمًا تذروه الرياح !

★ ★ ★

غادر كشاف التذاكر الكابينة مطمئنًا لصحة الأرقام ، فى حين أرسل (عمر) ببصره إلى المساحات الخضراء الشاسعة خلف الزجاج ، دون أن ترى عيناه شيئًا سوى قباب (الحسين) ، وزحام (ميدان التحرير) ، وأمواج شاطئ (ميامى) ، والنصب التذكارى للجندى المجهول على ضفة (قناة السويس) الشرقية ..

وتداعت أبيات الشعر إلى ذاكرته :

(.... يا أهل مدينتنا ..

هذا قولى ..

انفجروا أو موتوا ..

رعب أكبر من هذا سوف يجئ ..

لن ينجيكم أن تعتصموا منه بأعلى جبل الصمت ..

أو ببطون الغابات ..

لن ينجيكم أن تختبئوا فى حجراتكم ..

أو تحت وسائدكم ، أو فى بالوعات الحمامات ..

لن ينجيكم أن تلتصقوا بالجدران ، إلى أن يصبح كل منكم .. ظلاً مشبوحًا عانق ظلاً)(*)

ووجد الكلمات تتسلل مهموسة إلى شفتيه ، فكف وقال :

(★) من المسرحية الشعرية (ليلى والمجنون) لـ (صلاح عبد الصبور) ..

- لأول مرة ينتابنى ضيق بسبب إعجابى بـ (أنتونى هوبكنز) !

قالت (دينا) وهى تعمل على حاسبها النقال دون توقف :

- الكولونيل (كليدمان) ابن مجتمع رأسمالى نفعى وبرجماتى من الدرجة الأولى ، بحث عن منفعته ووجدها فينا !

غمغم (عمر) فى غيظ هائل :

- وسقطنا نحن فى فخه البسيط هذا بكل سهولة ..

- هذه نتيجة حتمية عندما تكون مجرد مستهلك للتكنولوجيا ، لا من المشاركين فى صناعتها وتطويرها ..

ضرب (عمر) قبضته على سطح المائدة الصغيرة الفاصلة بينهما ، وهتف :

- هذا ما أردده دومًا يا عزيزتى .. إننا فى أمس الحاجة إلى تثوير مجتمعنا وتغيير بنيته الركيكة هذه !

قالت ولما تنظر إليه بعد :

- تغيير بنى المجتمعات أمر يستغرق سنين طويلة !

- أتحدث عن طفرة !

نظرت إليه فى غير فهم وتساءلت :

- طفرة ؟!

- أجل .. أعنى قفزة عالية وشجاعة وممكنة فوق الفجوة الرقمية التى تفصلنا عن ركب التقدم المنشود ..

ولهث للحظة قبل أن يتابع :

- لست منظرًا ولا عالمًا ولا عضوًا فى لجنة تخطيط لأدعى أننى أعرف كيف يمكن أن يتم هذا .. لكنى أعرف أنه سيتم بشكل أو بآخر مثلما يعرف أى طفل صغير أن الشمس سوف تشرق غدًا !

- أنا الأخرى أعرف هذا ..

نظر إليها مندهشًا وقد استغرب أن تتفق معه فى شىء أخيرًا ، وهم بقول شىء عندما سبقته قائلة وهى تنحى جهازها جانبًا :

ـ هل سنمضى الوقت بطوله فى هذا الحوار الشيق ؟! أمامنا عمل يتعلق بمستقبل بلادنا على ما أذكر !

هتف وقد تدفق (الأدرينالين) سيولاً فى عروقه :

ـ بالفعل .. وسنتحرك الآن ..

.. وكادت قبضته تحطم سطح المائدة الصغيرة الفاصلة بينهما !

ـ هل أرسل للعميد سائلة عن رأيه فى خطة كشاف التذاكر ؟!

ـ دعك منها ..

قالها ملوحًا بيده وتابع غائصًا فى مقعده :

ـ أعتقد أنها فقدت مصداقيتها وجدواها .. مصداقيتها لأن كشاف التذاكر قد مر على الكابينة الخاصة بهم قبلنا لاريب ، وجدواها لأننا عرفنا أين تقع ضالتنا المنشودة بالفعل !

سألته غير مخفية فضولها الذى يكاد يبلغ حد اللهفة :

ـ هل لديك فكرة أخرى ؟!

نظر (عمر) إلى باب الكابينة ، بالتحديد إلى النافذة الزجاجية العلوية التى تجعل من رؤية الممر خارجه شيئًا ممكنًا ، وقال :

ـ بالتأكيد ..

وقفز من مقعده فجأة قائلاً :

ـ وسأنفذها على الفور لأثبت لكِ أننى أهل للحرية المطلقة التى منحونى إياها ..

هتفت به وهو يفتح باب الكابينة :

ـ (عمر) ، انتظـ ....

قاطعها غامزًا :

ـ أعتقد أن الوقت قد حان لاستغلال الاعتماد المالى فى شىء نافع ..

ولم تستطع أن تقول شيئًا عندما سمعته ينادى شخصًا ما ..

ـ أنت يا سيد !

وقطبت عندما أتاه الرد من شخص لاتراه ..

- أنا ؟!

- أجل أنت .. أحتاج إليك للحظة من فضلك ...

ودخل إلى حيز رؤيتها رجل لاتعرفه ، معتدل البنية عادى الهيئة ، ربما هو أكثر عادية من أن يكون عاديًا إذا تغاضينا عن حلته الفاخرة ، ذات الذوق الرفيع ..

- كيف يمكننى أن أخدمك يا سيدى ؟!

قالها الرجل واضعًا يده فى جيب بنطاله ، ليفاجأ بـ (عمر) يدفعه داخل الكابينة ويغلق الباب خلفهما بمنتهى السرعة هاتفًا :

- أحتاج إليك بالداخل قليلاً إذا سمحت !

صاح الرجل وقد تملكه الذعر المبرر :

- ماذا تريد ؟ هل أنت لص أم ماذا ؟!

قال له (عمر) مبتسمًا فى هدوء :

- على العكس ..

تراجع الرجل فى خوف وهو يصيح :

- إن القطار ملىء بالأمن يا سيدى .. وإن كنت ...

قاطعه (عمر) بقوله :

- أنا أريد أن أعطيك أموالاً يا سيدى المحترم !

سأله الرجل فى شك :

- وما المقابل ؟!

تجاهل (عمر) سؤاله ليسأله فى سرعة :

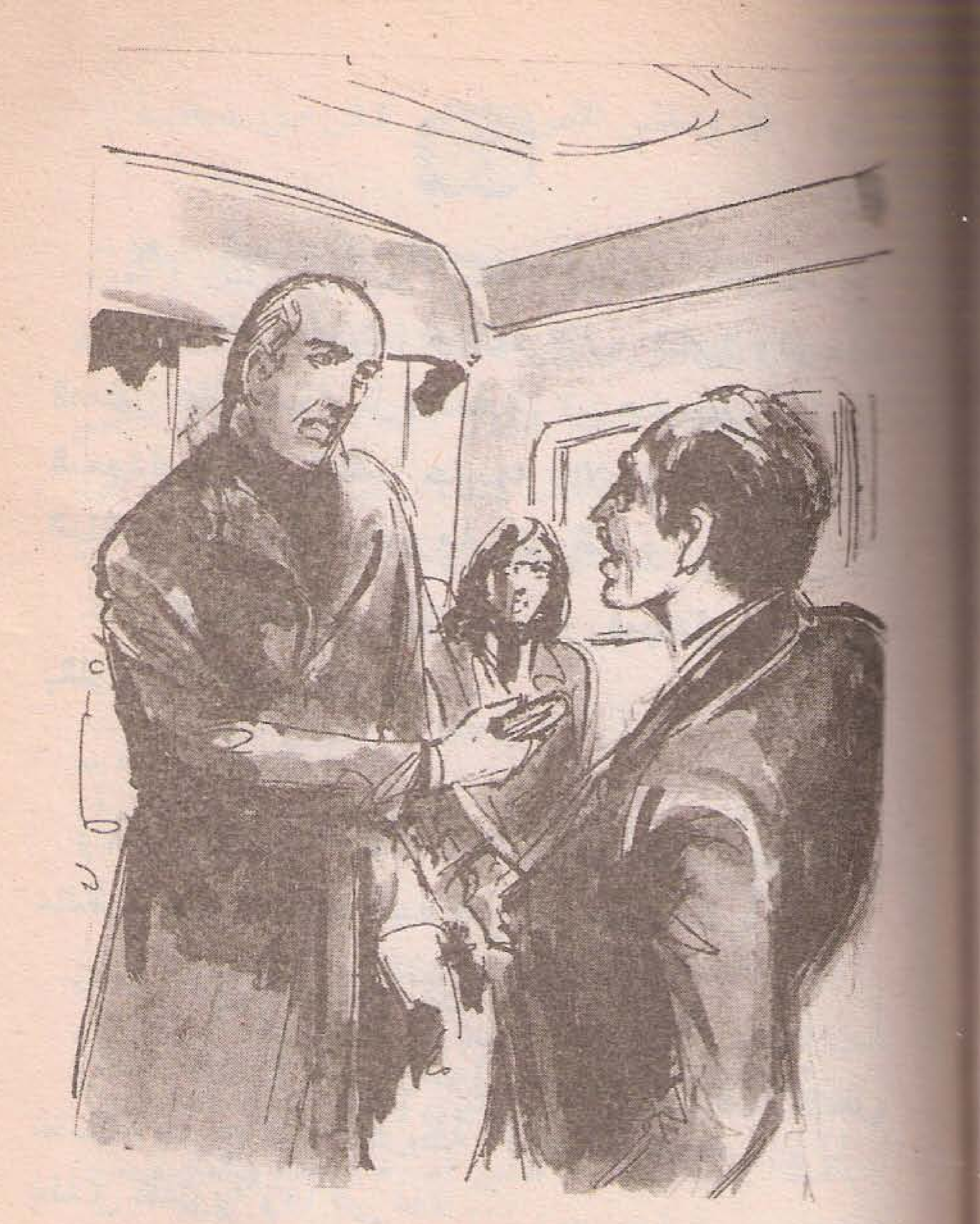
- هل تريد أن تأخذ عشرة آلاف يورو ؟!

وقبل أن ينطق الرجل المذهول أضاف (عمر) مخرجًا حافظته المنتفخة من جيب معطفه :

- عدًا ونقدًا !

استغرق الرجل وقتًا قبل أن يسأل دون أن يتلاشى ذعره :

- بدون مقابل يا سيدى !!



أخرج (عمر) رزمة أوراق مالية كبيرة ، مد بها يده للرجل قائلاً :
ـ خذ !! ..

أخرج (عمر) رزمة أوراق مالية كبيرة ، مد بها يده للرجل قائلاً :

ـ خذ ..

نقل الرجل بصره من الرزمة إلى وجه (عمر) الباسم ، ولم يقو على النطق بحرف ، في حين تابع الأول وبسمته تشع كاشفة عن أسنانه البيضاء :

ـ وأعطني حلتك الفاخرة هذه .. سأشتريها منك بهذا المبلغ ، فما رأيك ؟!

وانعقد لسان الرجل ، بينما الذهول يتفجر في كل زاوية من وجهه ..

ومن وجه (دينا) كذلك !

* * *



ـ بُم .. الموت لكل المصريين !

وانطلق الفتى (إيريك) ذو الشعر النارى الطويل والوجه الممتلئ غشًا يضحك ملء شدقيه ، ثم عاد ينظر بعينيه السوداوين إلى شاشة حاسبه (الآبل ماكنتوش) المنظور بالتفاحة المقضومة على ظهره ..

على الشاشة كانت هناك خريطة رقمية لـ (مصر) باللونين الأخضر والأسود ..

ـ ما رأيك يا عماه ؟

وعلى الخريطة كانت هناك نقاط دائرية حمراء متناثرة على الامتداد الجغرافى فى أماكن متفرقة ..

ـ هل أطلق الصوايخ الآن ؟!

وكانت هناك أرقام ورموز هندسية مبعثرة على الشاشة خارج إطار الخريطة ، كأنها إحداثيات وزوايا إطلاق تقديرية وما إلى ذلك ..

ـ .. لن يكلفنى الأمر ما هو أكثر من ضغطة زر واحدة ..

وعاد الفتى يضحك ، ناظرًا إلى الكولونيل (أندرو كيمان) الجالس بجوار النافذة منهمكًا فى عد رزمة نقود ؛ من فئة المئة يورو ، ثم محولاً بصره إلى (أنتونى فينتى) الواقف خلف باب الكابينة ، مراقبًا الممر خارجها عبر النافذة العلوية ، ومتحسسًا مسدسه الكامن تحت القميص بين الفينة والفينة ..

ـ يمكننى أيضًا أن أعيد توجيه الصواريخ كيفما شئت ..

قالها الفتى ضاغطاً أزرار حاسبه فى نشوة عارمة ، ثم تابع مفكرًا :

ـ من الممكن أن أوجه بعضها إلى الجنوب ، فالكثير من الآثار الفرعونية توجد فى مدن هذه المنطقة ، وهناك أيضًا (السد العالى) الذى يعتمد عليه المصريون اعتمادًا كليًا للحفاظ على الماء ومنع واديهم من الغرق .. ما رأيكما ؟!

وضغط أزرارًا أخرى ..

ـ .. من الممكن أيضًا أن أوجه الصواريخ بدقة نحو معالم محددة .. أهرامات (الجيزة) الثلاثة وأبو الهول الحجرى .. المتحف المصرى .. جسر السلام فوق (قناة السويس) .. قلعة (قايتباى) .. (الكرنك) .. وادى الملوك .. تخيل أن تكون حضارة كهذه عمرها يمتد آلاف السنين فى يدك ، لتكون قادرًا على إفنائها فى لحظة !

وضغط أزرارًا أخرى ..

ـ لنجرب لعبة أخرى .. ما رأيكم أن نوجه الصواريخ لأماكن خارج (مصر) كلها ؟! واتسعت الخريطة بحركات (زوم آوت) متتالية لتشمل خريطة لمنطقة الشرق الأوسط كلها ، بينما الفتى يتابع جنونه المطبق :

ـ .. (إسرائيل) مثلاً ... ولتشتعل المنطقة فى أتون حرب خامسة بين الدولتين !

أزرار وأزرار وأزرار ..

ـ .. أم أجعل الصواريخ تسقط فى أحضان دول عربية مجاورة .. (الأردن) .. (ليبيا) .. (لبنان) .. (السودان) .. (السعودية) ..

أزرار ..

أو دول البحر المتوسط .. (إيطاليا) .. (اليونان) .. (تركيا) .. (إسبانيا) ..

وأزرار ..

ـ .. أو إفريقية (تشاد) .. (إثيوبيا) .. (كينيا) .. (الكاميرون) ..

وأزرار ..

ـ .. للأسف لن يمتد مدى الصواريخ لما هو أبعد من هذه المساحات !!!

قالها الفتى وهو يمط شفتيه امتعاضًا ، ثم عاد الجنون يلهو بوجهه وحنجرته :

ـ .. لكننا نملك الكثير من الخيارات فى حوزتنا بالفعل .. هيا لتختارا ما يحلو لكما ..

وضحك عاليًا ثم هتف مغتبطًا وعيناه تتألقان :

ـ .. هذه أمتع لعبة رقمية لعبتها فى حياتى كلها .. لعبة حقيقية تستطيع أن ترى نتائجها تتحقق فعلاً على أرض الواقع ، حتى ولو من خلال النشرات الإخبارية فقط ..

ـ كف عن هذا يا (إريك) ..

قالها (كليدمان) فى لهجة قاطعة صارمة أكسبتها إياه الحياة العسكرية ، وهو يلقى بالرزمة التى انتهى منها فى الحقيبة الجلدية المستقرة بين ساقيه ، ويلتقط رزمة أخرى شرع فى عد ورقاتها على الفور ..

ـ ولماذا أكف يا عماه ؟!

هتف به الفتى معترضًا ، وتابع بنفس النبرة :

ـ .. ماذا يضيرنا لو جعلنا فى الأمر بعض الإثارة ؟!

قال الرجل مواصلاً عد النقود بين أصابعه الماهرة :

ـ ماسنفعله الآن واضع ومحدد : نُغْلِقُ الجهاز ولنهبط فى المحطة القادمة !

سأله الفتى معاندًا :

ـ وبعد أن نهبط ؟!

قال (كليدمان) فى هدوء :

ـ أفضل مانفعله هو مسح للبرنامج والتخلص من الجهاز ، وكلما فعلنا هذا أسرع كلما كان أفضل !

صاح به (إيريك) وعيناه تتسعان :

ـ ونلقى بكل هذه القوة التى بين أيدينا فى سلة إعادة التدوير ؟!

ـ أفضل من أن نلقى بأنفسنا فى متاهات سياسية لا قبل لنا بها ..

قالها (كليدمان) بنفس الهدوء ، فعاد الفتى يصيح :

ـ ومن سيعرف أننا الملومون ؟!

والتفت إلى ذى الشعر واللحية الطويلين :

ـ .. قل شيئًا يا عم (أنتونى) !

قال (أنتونى) ناظرًا إلى الرزمة بين يدى (كليدمان) فى ثبات :

ـ ما تتحدثا فيه ليس من شأنى على الإطلاق .. إن قضيتى الأساسية الآن تتلخص فى ثلاث كلمات : ماذا عن النقود ؟!

ضغط على مخارج ألفاظه وهو ينطق السؤال ، مما دعا (كليدمان) للتوقف عن العد ، ورفع عينيه الزرقاوين إليه قائلا :

ـ كل شىء متفق عليه سلفًا يا (أنتونى) ، عندما نهبط من القطار ونصل إلى النقطة الآمنة سيأخذ كل منا نصيبه كاملاً ..

قال (أنتونى) وقد أصبحت ملامحه أكثر برودًا :

ـ الثلث ، كولونيل !

دارى (كليدمان) مشاعره ليقول فى ثباته الصارم :

ـ إن كلمتى واحدة دائمًا يا عزيزى ، لك الثلث ولى و(إيريك) الثلث ..

سأل الفتى باندفاع كأنه تذكر أمرًا مهمًّا :

ـ لم تخبرنى حتى الآن يا عماه : أين سيذهب الثلث الباقى ؟!

سأله خاله ببرود قاسٍ :

ـ ما سر إصرارك على المعرفة يا فتى ؟!

هتف (إيريك) فى جرأة :

ـ أنت شقيق والدتى بالفعل ، لكن هذا لا يعطيك الحق فى استغفالى وإعطائى نصف نصيبى من الغنيمة فقط !

صعد الدم الساخن إلى رأس (كليدمان) ، واحمرت وجنتاه غضبًا لكنه استطاع التحكم فى نفسه بأعجوبة ، وهو يقول دون أن تتبدل نبرة صوته :

ـ تذكر أيها المتحذلق أن هناك مبالغ تم دفعها مقدمًا فى أثناء التجهيز للعملية على مدار العام ، ولابد من رد هذه المبالغ لدافعيها ..

قال الفتى متذاكيًا :

ـ مبالغ تافهة لا يتعدى مجملها بضع ملايين من الدولارات !

هتف (كليدمان) وقد تطاير مع هتافه بعض الحنق:

- لقد اشترط دافعوها أن يحصلوا على الثلث عندما تتم العملية بنجاح، وذلك لكى يتولوا رعايتها ماديًا فى خطواتها الأولى!

سأله (إيريك) وقد انعقد حاجباه الناريّان:

- معنى هذا أن لنا شريكًا رابعًا؟!

زفر (كليدمان) محنقًا قبل أن يقول فى تسليم:

- كان يجب أن يظل الأمر فى طى الكتمان.. لكن.. أجل، إن للعملية رعاة رسميين يتولون الإنفاق عليها منذ إن كانت برعمًا صغيرًا فى أصيص عقلى!

اندفع (إيريك) صائحًا:

- كان يجب أن نكون على علم بهذا منذ البداية.. ألسنا شركاء؟!

ونظر إلى (أنتونى) كأنه يلتمس منه مساندته، غير أن هذا الأخير هز كتفيه قائلاً فى لامبالاة:

- لايعنينى الأمر مادمت سأحصل على مستحقاتى كاملة!

- لكن..

حاول (إيريك) أن يقول شيئًا بعد أن أحس بضعف موقفه منفردًا، لكن (كليدمان) قاطعه بلهجة صارمة، وبنظرة هى الصرامة نفسها:

- حاول أن تتحدث مع خالك بطريقة ألطف من هذه يا عزيزى (إيريك)، وإلا سيغضب.. وأنت تعرف كيف يبدو (أندرو كليدمان) حينما يغضب.. أليس كذلك؟!

- بلى، أعتذر يا عماه!

قالها الفتى منكمشًا على نفسه كفأر مذعور، فابتسم (كليدمان) فى رضا وعاد إلى عد النقود.. ثم قال بعد برهة:

- بقيت دقائق ونهبط للقاء مندوب الإخوة، وقد

يصرحـون لـك باللعـب كيفمـا شـئت يـا عزيـزى (إيريك) .. إن الإخوة يفهمون جيدًا فى هـذه الأمـور السياسية ..

ـ حقًا ؟!

صاح بها الفتى ناسيًا ـ أو متناسيًا ـ ذعره ، وقبـل أن يتلقى ردًا تعالت طرقات فوق باب الكابينة ، فـران صمت بليغ ..

ـ لعله واحد من طاقم الخدمة !

قالها (كليدمان) ببساطة وهو يعيد الرزمـة إلـى الحقيبة السوداء قبـل أن يكمل عد أوراقها ، فى حين تأكد (أنتونى) من موضع مسدسـه أسفل القميـص ، وغمغم ناظرًا عبر نافذة الباب العلوية :

ـ كلا .. إنه ضيف متأنق !

سأله (كليدمان) مضيقًا حدقيته :

ـ هل يبدو مريبًا ؟!

نظر (أنتونى) بدقـة أكبر ، قبـل أن يمـط شـفتيه قائلاً فى استهانة :

ـ لا أظن !

ـ افتح له إذن ، ولنر ماذا يريد ..

وفتح (أنتونى) البـاب فى نفس اللحظـة التى دفع فيهـا (كليدمان) الحقيبـة بقدمه ، لتختفى جزئيًا أسفل المقعد الذى يجلس عليه ..

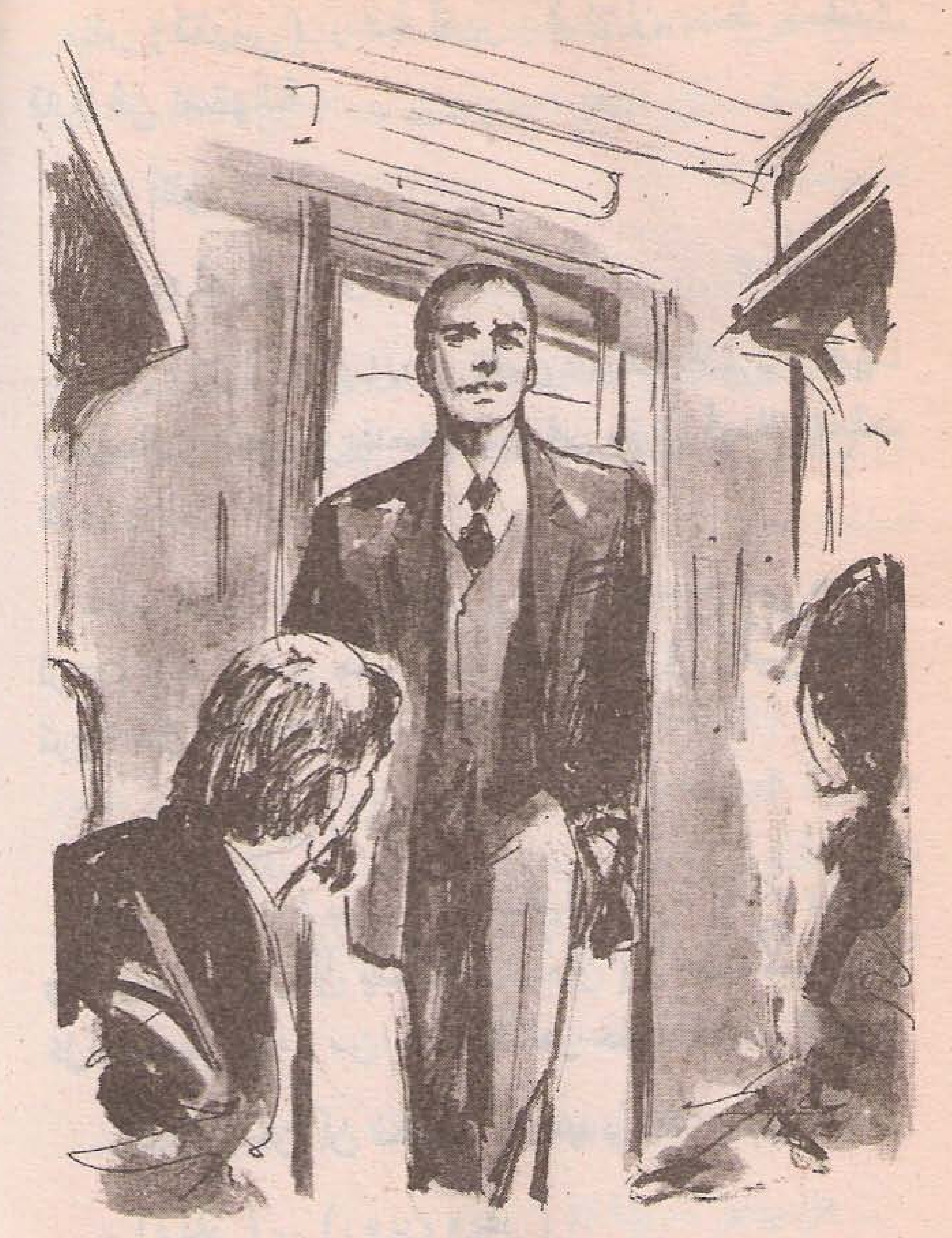
خلف الباب كـان (عمـر) واقفًـا يبتسـم فـى هـدوء لزج ، وقد ارتدى حلـة فـاخرة ذات ذوق رفيـع كلفتـه ثروة قبل لحظات !

ـ مساء الخير يا سادة !

قالهـا (عمر) بلهجة بريطانية مقعرة تفوح بـرودًا وغطرسـة ، قبل أن يسأله (كليدمان) وعيناه تمسـحان كل سنتميتر فيه ، من منبت الشعر حتى أخمص القدم :

ـ بماذا يمكن أن نخدمك يا سيدى ؟!

ـ (ويفر) .. (روبن ويفر) ..



خلف الباب كان (عمر) واقفًا يبتسم فى هدوء لزج ، وقد ارتدى حلة فاخرة ذات ذوق رفيع كلفته ثروة قبل لحظات ! ...

قالها (عمر) وهو يتقدم داخلاً الكابينة دون أن يدعوه أحد ، ثم إنه مد يده بالمصافحة نحو (كليدمان) ، لكن الأخير تجاهله ـ فى دلالة لاتقبل الشك ـ على عدم الترحيب بوجوده !

تظاهر (عمر) بابتلاعه للحرج ، ثم إنه أخرج من جيبه حافظته المتخمة ، وأبرز منها هويته الزائفة فى وجوههم :

ـ .. هاكم هويتى يا سادة .. إنها تقول إننى أعمل طبيبًا بيطريًّا ..

عاد (كليدمان) يسأله فى صبر وأناة :

ـ ماذا ... تريد .. يا .. سيدى .. المحترم ؟!

تابع (عمر) كأنه لم يسمعه ، قائلاً بمنتهى السماجة :

ـ إنها مهنتى الرئيسية بالفعل التى درست علومها فى الجامعة ، لكنكم لاتجهلون قطعًا أن التجارة والأعمال الحرة والمضاربة فى سوق المال تدر ربحًا أكبر ، وأنها مجال مفتوح لأى إنسان مهما كانت هويته أو جنسيته أو شهادته العلمية أو ....

قاطعه (كليدمان) وقد عيل صبره :

- لآخر مرة أسألك أيها السيد : ماذا يمكن أن نقدم لك ؟!

لوح (عمر) بذراعيه هاتفًا بنفس السماجة :

- أوه .. لاتكن عبوسًا وضيق الصدر هكذا ياسيدى الجنرال .. أوه .. عفوًا .. أقصد ياسيدى الكولونيل !

حدق (كليدمان) فى وجهه للحظة ، وفى اللحظة التالية أشار بهزة من رأسه إلى (أنتونى) ، فأغلق الأخير باب الكابينة بمنتهى السرعة ، وسارع بعدها بشل حركة (عمر) من الخلف مصوبًا مسدسه إلى صدغه !

- أنت تعرفنى إذن ياسيد ..

قالها (كليدمان) فى هدوء الأفاعى وهو ينهض

مواجهًا (عمر) ، الذى قال ببرود لم ينتقص وضعه الجديد منه ذرة :

- (ويفر) ياسيدى ! (روبين ويفر) !

سأله (كليدمان) وهو يدنو منه بشدة :

- من أنت ياسيد (ويفر) ؟! وماذا تريد ؟!

قال (عمر) محدقًا فى عينيه الزرقاوين بمنتهى الحزم :

- بالنسبة للشطر الأول من سؤالك فقد أجبت عنه بمنتهى الإسهاب حتى أوقفتنى ياسيادة الكولونيل ، وبالنسبة للشطر الثانى فإجابته هى : لقد أتيت حاملاً إليكم عرضًا محددًا !

لاح الغباء فى عينى (إيريك) المكتفى بدور المتابع السلبى ، بينما مال (كليدمان) أكثر نحو (عمر) حتى كاد أنفاهما يلتصقان ، وسأله قاصدًا الإرعاب :

- ممن ، سيد (ويفر) ؟!

لكن (عمر) أجابه ثابت الجنان :

- منى أنا ومجموعة من الشركاء المضاربين فى بورصات العالم !

- وبِمَ يتعلق عرضك ، سيد (ويفر) ؟!

- بالعملية الإرهابية التى تشنونها على دولة (مصر) يا كولونيل !

شهق (إيريك) ذاهلاً ، وتراخت يدا (أنتونى) المحيطتان بـ (عمر) قليلاً وهو يحدق فيه بغير فهم ، فى حين تراجع (كليدمان) إلى الوراء مصعوقًا ، قبل أن يقطب سائلاً وقد تمالك نفسه :

- هل تسرب الخبر إلى الإعلام أم ماذا ؟!

هزّ (عمر) رأسه فى قوة نافيًا ، ثم قال والكلمات تخرج من بين شفتيه كطلقات مدفع رشاش :

- كلا يا كولونيل .. لقد علمنا بالأمر بوسائلنا الخاصة ، وكنا نتابعكم منذ وقت طويل فى أثناء إعدادكم للعملية ..

سأله (كليدمان) بجفاء صارم :

- أية وسائل تلك ؟!

اقتبس (عمر) عبارة (مادلين تشايمر) التى سمعها قبل قليل ، مع بسمة لم تؤثر فى لهجته السمجة :

- عندما يتعلق الأمر بالتكنولوجيا ومصادر المعلومات ، فلا تسألنى أبدًا مثل هذا السؤال ، سيد (كليدمان) !

استغرق (كليدمان) فى التفكير هنيهة ، وكذلك (أنتونى) والفتى (إيريك) ، لكن أيًّا منهم لم ينجح فى فهم مغزى الأمر ..

- هلا أوضحت يا سيد (ويفر) ؟!

- سأفعل بمجرد أن تنال يداى الحرية يا كولونيل !

أشار (كليدمان) لـ (أنتونى) بهزة رأس أخرى فأطلق الأخير (عمر) الذى سارع يعدل من هندامه، ويسوى وضع ربطة العنق اللامعة بين ياقتى القميص باهظ الثمن !

ـ والآن، سيد (ويفر) ...

ـ والآن يا سادة أستطيع أن أقول لكم : إننى هنا لأحمل إليكم عرضًا محددًا بشراء هذه العملية !

★ ★ ★

٨

ـ خطة لا ينقصها الذكاء، عميد (حرب) ..

ـ المحك الحقيقى هو صلاحيتها للتنفيذ يا سيادة اللواء ..

ـ سيكلف فشلها تلميذك عشرة آلاف يورو من راتبه الشهرى !

ـ وقد يكلفه حياته نفسها !

ـ لا أدرى ما سر شعورى بأنه سيفعلها هذه المرة أيضًا، عميد (حرب) ..

ـ شعورى مناقض لهذا تمامًا ..

ـ هذا هو الحال دومًا، كأنك الأم التى أرسلت فلذة كبدها إلى الحرب وكل ما تتصوره هو جثته العائدة إليها فى تابوت !

ـ الجثث لا تعود من الحرب يا سيادة اللواء !

- أرأيت ما أعنيه ؟!

- ومتى أنكرت حقيقة مشاعرى ؟!

- ماذا عن الحسناء ؟!

- (دينا واصف) ؟!

- هى بعينها ..

- لا جديد أرسلت تخبرنا عما يفعله (عمر) الآن مع الإرهابيين فيما هى تنتظر عودته سالمًا أو مقتولاً !

- إننى أتساءل إذا ما كانت تشعر بمثل ما تشعر به أنت ، عميد (حرب) ..

- ومن أين لى أن أعلم يا سيادة اللواء ؟!

- لا تكن خبيثًا معى يا (منصور) .. إننى أستاذك وأعلم ما يدور فى جمجمتك ربما حتى قبل أن يبدأ فى الدوران ..

- هذه أمور قدرية بحتة يا سيدى ..

- لماذا إذن أشعر وكأنك تحاول تقمّص دور القدر ؟!

- .... !

- لا أظنه الدور المناسب لك أبدًا يا سيادة العميد !

★ ★ ★

- ما معنى هذا الهراء الذى تقوله ، سيد (ويفر) ؟!

سأل الكولونيل (كليدمان) فى استنكار ، بينما صوب (أنتونى) مسدسه إلى (عمر) صائحًا فى غضب :

- هل تحاول السخرية منا يا هذا ؟!

رفع (عمر) كفيه كأنه يحتمى بهما منه ، وهو يهتف :

- على رسلك ، سيد (فنتى) .. اتركوا لى فرصة للشرح من فضلكم .. وتكلم (إيريك) أخيرًا فقال :

- اتركاه يتكلم !

ولما استدار إليه زوج من العيون الغاضبة ، ازدرد لعابه وقال مرتبكًا :

ـ .. أعنى أننا لن نخسر شيئًا إذا سمعنا ما لديه ..

ـ أنت محق يا سيدى الصغير ..

قالها (عمر) مفرقعًا بإصبعيه، ثم إنه استطرد على الفور دون أن يمنح أحدهم الفرصة لقول أى شىء:

ـ .. فى الواقع يا سادة، نحن نعيش عصرًا يباع فيه كل شىء ويشترى، عصر السوق العالمية المفتوحة على مصراعيها، عصر إمبراطوريات اقتصادية عملاقة تناطح بكياناتها عروش دول وسلطات شعوب، عصر البورصة والأموال الإلكترونية والأسواق الخائلية والسندات المصرفية .. كل شىء فى عصر كهذا قابل للتداول والمساومة تبعًا لقوانين السوق، حتى الإرهاب لا يشذ عن هذه القاعدة التى فرضت نفسها على الواقع بقوة ..

والتقط أنفاسه ثم استأنف متجاهلاً نظرات عدم الفهم المحدقة به:

ـ .. لقد أجرينا حساباتنا وجمعتنا اجتماعات كثيرة عبر الشبكة ومتواجهين، لنخلص إلى حقيقة مهمة غائبة عن أعينكم يا سادتى، عملية كهذه التى تقومون بها تساوى أكثر مما ربحتم منها بكثير .. كان الشك يراودنا بشأن نجاحكم فى التنفيذ لكنكم فعلتموها بمهارة حقيقية تستحق الثناء، وحققتم مبلغًا ممتازًا بمقاييس المبتدئين، لكن القاعدة الاقتصادية واضحة وضوح شمس النهار: لماذا تربح أقل عندما يكون فى إمكانك أن تربح أكثر؟! خاصة وأنك مازلت فى موقع القوة؟!

هتف (إيريك) باندفاعه الطائش:

ـ هذا ما كنت أقوله منذ لحظات يا سيدى!

حدجه خاله بنظرة حمراء فابتلع لسانه، فى حين تكلم (أنتونى) قائلاً:

ـ هات ما عندك فى كلمات صريحة يا صاح ..

وفعلها (عمر):

ـ إننى يا سادة .. باسمى واسم شركائى .. أعرض

عليكم صفقة شراء هـذه العملية فى مقابل ثلاثمائـة مليون يورو أوروبى ، أى ضعف المبلغ الذى ربحتموه منها بالفعل !

اتسعت عينا (إيريك) ، وسال لعاب (أنتونـى) ، فى حين استشعر (كليدمان) خطرًا مبهمًا ..

وواصل (عمر) :

ـ .. سوف أقوم بدفع المبلغ فورًا عند التسليم ، وذلك عن طريق تحويل بنكى فورى من (لندن) إلـى أى بنك تريدونه فى جميع أنحاء العالم ..

سأله (إيريك) بأنفاس مبهورة :

ـ وأنتم ؟!

ـ سنتولى نحن أمورنـا بأنفسنـا ، وسنعرف كيف نحقق أرباحنا من هذا المشروع الواعد !

وسأله (كليدمان) بريبة جلية :

ـ وكيف ستتسلمون الصفقة ، سيد (ويفر) ؟!

ـ المسألة بسيطة للغاية ، تسلموننا جهاز التحكم الذى تستخدمونه ، ومبلـغ المائـة وخمسين مليـون يورو الذى تسلمتموه فى (لوكسمبورج) .. هـذا كـل شىء ..

سأله (أنتونى) :

ـ وتحولون لنا المبلغ المذكور فورًا ؟!

ـ قبل أن أتسلم أى شىء ، الآن نبدأ لو أحببت .. مبدأ الخداع غير وارد بالمرة ياسيدى ، فأنا رجل يخاف على حياته !

غمغم (إيريك) وانبهاره يتزايد :

ـ هذا مدهش !

وخاطب (أنتونى) (كليدمان) فقال :

ـ لنعطـه رقـم حسـابـى فـى (سـويسـرا) ياكولونيل ..

لم يتفوه (كليدمان) بحرف ، وظل يرمق (عمر) فى شك مستطير حتى خاطبه فى النهاية قائلاً :

ـ ولماذا لاتكون من المصريين يا سيد (ويفر) ؟!

ضحك (عمر) ضحكة مبتورة ، ثم قال :

ـ سأكون مغفلاً وقتها يا سيدى لأننى أعرض عليك أن تبتزنى بضعف المبلغ الذى أخذته منى فعلاً !

ـ هذا منطقى ..

هتف بها (إيريك) غير المتحكم فى نفسه ، لكن خاله لم يعره التفاتًا هذه المرة وهو يقول لـ (عمر) فى دهاء :

ـ ولماذا لانعدل الصفقة ؟!

ـ كيف ؟!

ـ تترك لنا المبلغ النقدى وتحول لنا ما يوازيه إلى سويسرا) ، على أن تأخذ هذا الحاسوب وتغرب عن وجوهنا ؟!

قال (عمر) على الفور :

ـ للأسف يا سيدى ، لست أملك سوى هذا العرض المحدد ولا أملك أن أعدل فيه بمفردى .. خذه أو اتركه ، فما رأيك ؟!

ـ سأخبرك عن رأيى فى الحال ، سيد (ويفر) ..

وتناول (كليدمان) المسدس بحركة خاطفة من يد (أنتونى) ، ليصوبه إلى رأس (عمر) مردفًا :

ـ .. هذا هو رأيى أيها السيد اللزج كالدم !

كاد (عمر) أن ينطق بشىء ، لكنه لزم الصمت عندما وجد (أنتونى) يهتف عابسًا :

ـ ولِمَ يا كولونيل ؟! الأمر لا يستحق هذا الـ .....

صاح فيه (كليدمان) كالإعصار :

ـ اخرس يا (أنتونى) ، وادفع بهذا الوغد من أمامى إلى الخارج ..

ساخطًا هتف (أنتونى) !

- ليس هذا هو الأسلوب الأمثل لمعاملتى يا (كليد ....

صاح فيه (كليدمان) بقوة أكبر ونبرة أعلى :

- قلت لك اخرس !

صمت (أنتونى) وإن نطقت عيناه بالكثير فى حين تراجع (عمر) ببطء نحو باب الكابينة المغلق ، وهو يقول مهونًا :

- على رسلك ياكولونيل .. على رسلك .. وفى جميع الأحوال ، ستجدوننى فى الكابينة الواقعة فى نهاية هذه العربة ، إن فكرتم فى التشاور مجددًا أو فى ...

بمنتهى العصبية صاح فيه (كليدمان) :

- إن لم تخرج الآن فلن أتورع عن إفراغ الطلقات كلها فى رأسك .. إنه مزود بكاتم للصوت كما ترى !

- ليكن .. على رسلك يا رجل .. على رسـ ....

وانطلق (عمر) فارًا فى لمح البصر تاركًا فرجة مفتوحة فى الباب ، سارع (كليدمان) بغلقها خلفه وهو يزفر لهبًا حارقًا ..

وعندما استدار ليواجه شريكيه ، لمح فى العيون الأربع الكثير من اللوم ..

ومن الغضب ..

ومن الوعيد ..

لم يقو على المزيد من المواجهة ، فأشاح عنهما بوجهه قائلاً فى لهجته العسكرية :

- استعدا للنزول فى المحطة التالية ، فلم يبق الكثير ..

اعترض طريقه نحو مقعده جسد (أنتونى) ، الذى خلص مسدسه من بين أصابعه ، ثم قال واضعًا إياه فى مكمنه :

- سأذهب لقضاء حاجتى أولاً يا جنرال ..

والتقت العيون ...

- عفوًا أقصد ياكولونيل ..

وبالإضافة للوم وللغضب وللوعيد .. كان هناك نوع جديد من النظرات ..

نظرات الشك !

★ ★ ★



٩

انفتح باب الكابينة ..

دلف (عمر) وعلى وجهه جمود لا يشى بخير ..

انغلق باب الكابينة ..

- سبع أم ضبع ؟!

سألته (دينا) فى شغف هائل تاركة لعبة (السوليتير) على جهازها ، وقال هو متوجهًا إلى النافذة الزجاجية الكبيرة المطلة على مروج (لكسمبورج) المكسوة بالأخضر وبألوان الزهور :

- حدثينى بالإنجليزية !

سألته واللهفة تلهو بصدرها :

- هل نجحت خطتك المجنونة ؟!

صمت مليًّا ، وطفق يحدق فى المدى البعيد ، حتى قال دون حتى أن يلتفت نحوها :

- لست أعلم !

قالت فى استغراب :

- لا تعلم ؟! ما معنى هذا ؟! إما أن تنجح الخطط وإما أن تفشل !

قال وهو يشد من قامته :

- رفضوا العرض إن كانت هذه إجابة شافية ..

مطت شفتيها وغمغمت :

- توقعت هذا على أية حال ..

التفت إليها وهو يقول مستدركًا :

- لكنهم لم يكتشفوا أنها خدعة حتى اللحظة الأخيرة !

هزت كتفيها وقالت عائدة إلى لعبة (السوليتير) :

- يمكننا أن نعد هذا نصف فشل ..

- بالنظر إلى نصف الكوب الآن فهو نصف نجاح أيضًا ..

- ونعود إلى نفس النقطة التى بدأنا منها : ماذا يمكن أن نفعل الآن ؟!

أرسل بصره إلى الجنة المترائية عبر الزجاج مغمغمًا :

ـ سؤال سابق لأوانه !

سألته منهمكة فى تنظيم أوراق اللعب على الشاشة :

ـ وما أوانه ؟!

غمغم كأنه يفكر بصوت مسموع :

ـ لنر أولاً إن كان مبدأ (فرق تسد) مازال فعالاً !

رفعت إليه عينين حائرتين وسألته :

ـ ماذا تعنى ؟!

تابع كأنه لم يسمعها وصوته يصبح أكثر خفوتًا :

ـ قد يوفر هذا الكثير من الوقت المستهلك لإيجاد حلول بديلة ..

أخرجت (دينا) هاتفًا محمولاً حديثًا من حقيبة يدها ، سارعت توصله بالحاسب عبر الأشعة تحت الحمراء ، وقالت :

ـ فى كل الأحوال دعنى أبرق لهم بخبر عودتك سالمًا !

وتابعت فى ضيق :

ـ برغم أنى لم أنه دور (السوليتير) بعد !!

وقبل أن تتم عبارتها انفتح باب الكابينة بغتة ، ليبرز من خلفه وجه مألوف ، بالشعر واللحية الطويلين !

التفت (عمر) على الفور نحو الباب ، وارتجفت (دينا) لمرأى الرجل بملامحه الناطقة بالقسوة ، فلاذت بالصمت فى حين استعاد (عمر) نبرة السماجة الباردة وهو يهتف مرحبًا :

ـ أوه .. سيدى المبجل .. لكم يشرفنى حضورك إلى هنا بنفسك ..

لم ينبس (أنتونى) ببنت شفة وهو يدلف إلى

الكابينة مغلقًا خلفه الباب ، وبينما انتفض قلب (دينا) بين ضلوعها لصوت الانغلاق ، واصل (عمر) أداءه على أفضل نحو ممكن ، ليقول فاركًا كفيه ببعضهما :

- .. لابد أنكم قد تشاورتم فى الأمر مرة أخرى ، وخلصتم إلى نتيجة جديدة ..

طالت نظرات (أنتونى) الصامتة إلى (دينا) ، فضرب (عمر) جبهته براحته هاتفًا :

- أوه .. يالى من جلف فاقد للحس الاجتماعى .. لقد نسيت أن أقدم لك زوجتى ، الدكتورة (آنا ويفر) .. إنها طبيبة أسنان لكنها تعمل معى فى عالم الأعمال الحرة تبعًا لمبدأ (وطنى أموالى) !

ثم إنه غمزه بطريقة واضحة قبل أن يضيف متمتمًا :

- وهى واحدة من الشركاء المقدمين للعرض ياسيدى ..

انطلق (أنتونى) يقول دون لف أو دوران :

- لقد اختصرت علىّ الطريق أيها السيد .. قل لى ، هل ما زال عرضك ساريًا ؟!

جفل (عمر) كأنه فوجئ ، ثم ضحك قائلاً :

- أوه .. بالطبع .. بالطبع ياسيدى .. متى أحببتم !

- هناك تعديل طفيف بشأن الصفقة ..

قالها (أنتونى) بصرامة ، فتظاهر (عمر) بالجفول ثانية قبل أن يقول هارشًا فى رأسه :

- بشأن الأموال والتحويل فقد قلت مسبقًا إنه ..

قاطعه (أنتونى) :

- كلاّ .. بشأن الأطراف !

- هل تمانع فى الإيضاح قليلاً ، سيد (فنتى) ؟!

- ستُجرى صفقتكم معى أنا فقط كطرف ثان !

جفل (عمر) مجددًا برغم أن هذا الأمر أيضًا لم يفاجئه، وسأل مشيرًا بيده فى اتجاه العربة :

ـ والكولونيل ؟!

ـ دعك منه ..

.. وعقد (أنتونى) ساعديه ثم سأله :

ـ ما قولك ؟!

عاد (عمر) يهرش فى رأسه قبل أن يغمغم مفكرًا :

ـ فى هذه الحالة ..

ـ ماذا ؟!

ـ سأنتظر أن تسلمنى أنت النقود والجهاز المسيطر !

ـ قلت إن التحويل سيتم أولاً ..

قال (عمر) باسمًا :

ـ التاجر المحنك يعاين البضاعة قبل أن يشتريها، سيد (فنتى) ..

ـ هو كذلك ..

قالها (أنتونى) مادًا يده القوية بالمصافحة، فصافحه (عمر) ..

ـ خذ هذه الورقة ..

مد بها (أنتونى) يده الأخرى وتابع مفسرًا :

ـ .. إنها تحوى اسم البنك السويسرى الذى أتعامل معه ورقم حسابى فيه، يمكنك البدء فى عمل إجراءات التحويل عبر الإنترنت، ريثما أعود فى غضون دقائق ..

تناولت (دينا) الوريقة وهى تقول بابتسامة ساحرة :

- على الفور يا سيدى ، إن حاسبى متصل الآن بالفعل ..

- هذا جيد ....

وغادر (أنتونى) الكابينة مغمغمًا :

- .. وليذهب الكولونيل إلى الحجيم !

وبمجرد اختفائه ، تبادل (عمر) مع (دينا) نظرات ذات مغزى عميق ..

ومفهوم !

* * *

١٠

- ألم أقل لك إنه سيفعلها ، عميد (حرب) ؟!

- لم ينته الأمر بعد يا سيادة اللواء !

* * *

تحسس (أنتونى) مسدسه تحت قميصه ، قبل أن يلف إلى الكابينة مطمئنًا ؛ ليفاجأ بالكولونيل (كليدمان) يحمل مسدسًا مشهرًا فى وجهه ..

- أغلق الباب خلفك يا (أنتونى) ..

عقدت الدهشة لسان (أنتونى) ، وسمره الموقف فى وقفته كلوح خشبى ..

- .. أسرع فأنا أمقت الكسل والتراخى ..

قالها (كليدمان) فى لهجة آمرة وبنفاد صبر ، فامتثل (أنتونى) مستديرًا فى بطء شديد ..

- والخيانة !

انغلق باب الكابينة على الثلاثة ، (كليدمان) الشاهر سلاحه فى ثبات يليق بقائد عسكرى متقاعد ، و(إريك) الجالس فى استكانة برغم أن كل ما حوله لا يعجبه و(أنتونى) الذى حاولت أصابعه أن تتسلل إلى تحت قميصه فى خفة ، عندما ..

ـ .. ارفع يديك لأعلى واستدر بسرعة ، لا تمارس ألاعيب (المافيا) هذه مع شخص مثلى !

امتثل (أنتونى) وقد أدرك أن لعبته مكشوفة ، فاستدار إلى (كليدمان) سائلاً إياه بمنتهى الحذر :

ـ ماذا دهاك يا كولونيل ؟!

ـ سل صاحبك وزوجته فى الكابينة الأخيرة !

قالها (كليدمان) باشمئناط ، فهتف (أنتونى) مزمجرًا :

ـ كنتما تتجسسان علىّ إذن ..

وأرسل بنظرة وعيد نحو (إريك) الذى بدا كدجاجة قبل الذبح ، فى حين قال (كليدمان) والقطار يبدأ فى خفض سرعته نحو الوقوف :

ـ علمتنا حياة العسكرية مبدأ إطاعة القائد مهما كانت تقديراتك الشخصية ، لأنك واحد ، والواحد دائمًا للكل !

قال (أنتونى) دونما انفعال :

ـ لم أخدم فى جيوش نظامية من قبل يا كولونيل ..

مط (كليدمان) شفتيه وقال :

ـ أعلم ، وإنها لكارثة أن يجبرنى القدر على التعامل مع شخص مثلك ..

ودوى فى أنحاء العربة الجرس المنغوم المصاحب لوقوف القطار على رصيف المحطة ، فانقطع حبل أفكار (كليدمان) وهتف بـ (أنتونى) :

ـ هيا ، استدر واهبط قبلنا .. لا تحاول أن تكون بطلاً فالمسدس سيظل ملتصقًا بجنبك حتى نصل إلى النقطة الآمنة .. هيا ..

ـ ليكن يا كولونيل ..

غمغم بها (أنتونى) وهو يستدير إلى الناحية الأخرى فى بطء ، واقترب منه (كليدمان) ليلصق المسدس بجنبه قائلاً :

ـ هيا .. افتح باب الكا ..

قاطعته همهمة (أنتونى) التى لم يميزها بوضوح :

ـ أنت من أراد هذا ..

ـ ماذا ؟! ماذا تقول ؟!

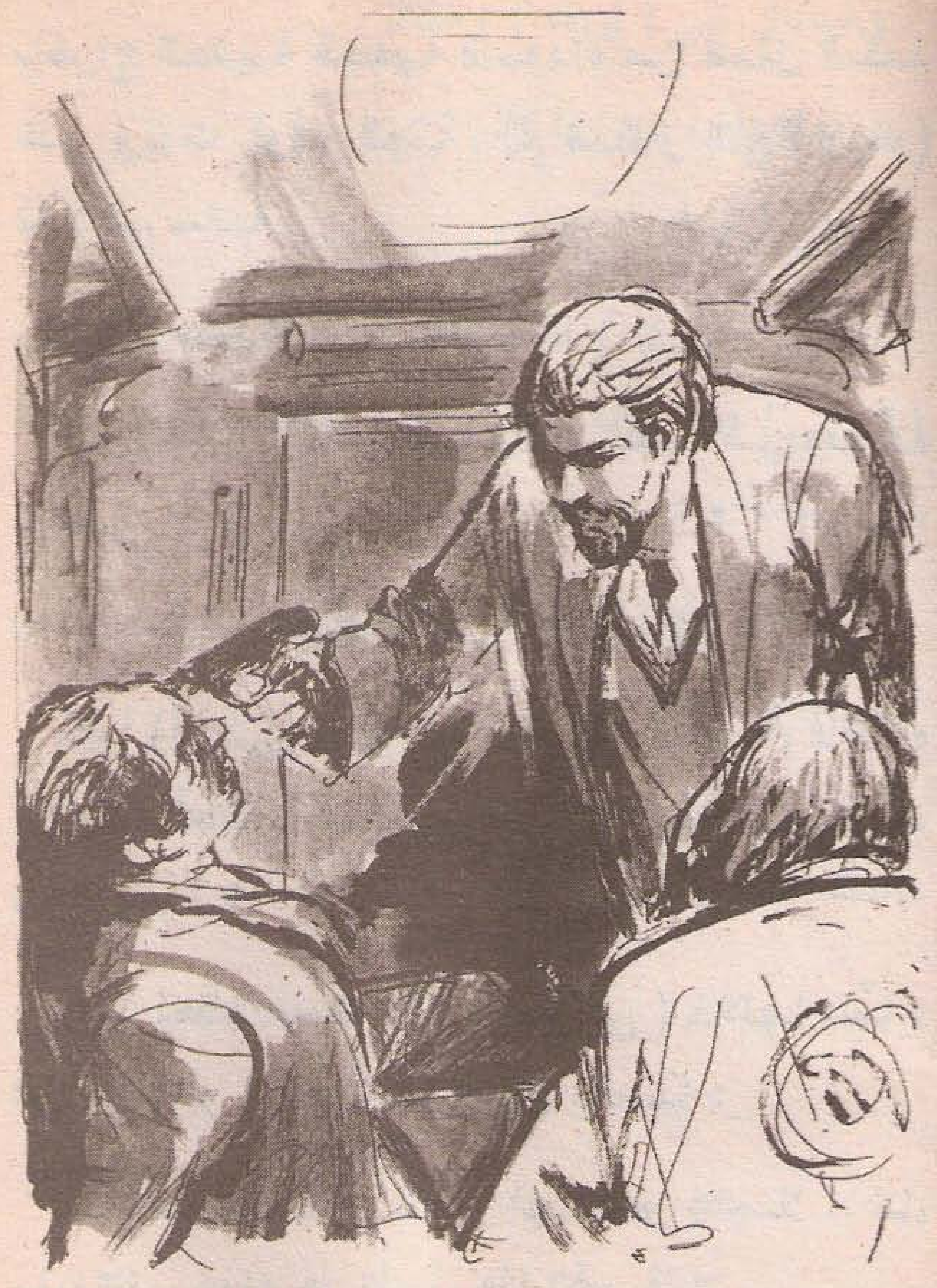
وفوجئ (كليدمان) بـ (أنتونى) يقفز ليدور فى الهواء حول محوره ، ويمد قدمه ليركل المسدس الذى يمسك به فى أقل من لحظة ...

ثم إن (أنتونى) استقر بقدميه على الأرض ، ودفع بقبضتيه المضمومتين فى صدر (كليدمان) ليقذف به إلى الخلف ، فيسقط الأخير على المقعد وقد اصطدم رأسه بحافته ..

وقبل أن يعى (كليدمان) ما يحدث ، وقبل أن تواتيه ـ أو تواتى (إريك) ـ القدرة على الصراخ ، انقض عليه (أنتونى) مجددًا وجذبه من تلابيبه ، مغمغمًا فى وحشية :

ـ قلتها لك من قبل ولم تسمعها جيدًا ، ليس هذا هو الأسلوب الأمثل لمعاملتى يا (كليدمان) .. إياك ثم إياك أن تتصور للحظة أنك أمهر من (فنتى) ، لأن فى هذا هلاكك لامحالة !

لم يقو (كليدمان) على الرد ، وأخذ يقاوم آلام رأسه عندما ألقته لكمة من قبضة (أنتونى) على المقعد مجددًا ، ليصرخ وجهه بالألم بينما الأخير يقول :



تأوه (كليدمان) ، وازرق وجه (إريك) فرقًا ، بينما أخرج (أنتونى) مسدسه وصوبه إلى رأس الأول متابعًا ..

ـ .. هذه لإهانتك لى أمام الرجل البريطانى !

ولكمه فى معدته بقوة متابعًا :

ـ .. وهذه لتجسسك أنت وهذا الغر التافه علىّ ..

تأوه (كليدمان) ، وازرق وجـه (إريك) فرقًا ، بينمـا أخـرج (أنتونـى) مسدسـه وصوبـه إلـى رأس الأول متابعًا ، كأنه أسد يتلذذ بالتهام فريسته :

ـ .. أما هذه ، فلإ شـهارك مسدسك الوضيع فى وجهى .. الوداع أيها الكولونيل .. واخترقت الرصاصة رأس (كليدمان) الذى انفجر بالدماء ..

ـ .. السابق !

شهق (إريك) فـى فزع مهـول ، وهـو يحـدق بعينين جاحظتين فـى جثـة خالـه التـى كـانت تمـوج بالحياة والقوة قبيل لحظات ...

أعـاد (أنتونى) مسـدسـه إلى مكمنـه ، وسـارع

بإخراج الحقيبة الجلدية السوداء من أسفل المقعد الذى ارتمت فوقه الجثة ، ثم استدار إلى (إريك) قائلاً فى سادية :

ـ هل تحب أن تلحق بخالك ؟!

هز الفتى رأسه نفيًا وكل خلية فى جسده ترتعد ..

ـ .. ناولنى لعبتك الإلكترونية هذه إذن ..

قالها (أنتونى) مادًا يده الممسكة بالحقيبة ، فأعطاه (إريك) الحاسب المتطور مطويًا لكنه ما زال يعمل ، وعاد يرتعد !

مرت لحظة صمت فكر (أنتونى) خلالها مليًا ، قبل أن ينظر إلى جثة الكولونيل مغمغمًا :

ـ .. سيكتشفون الأمر آجلاً أو عاجلاً .. كل ما يمكننى عمله هو تأجيل هذا الأمر قليلاً ..

واستدار إلى (إريك) ، قائلاً :

ـ .. انهض معى يا فتى ..

ـ إلى أين ؟!

نطقها (إريك) بصعوبة وهو يرتجف ، فقبض (أنتونى) على ياقة معطفه فى قوة ودفعه أمامه بغير رحمة وهو يهتف :

ـ لا تكن كثير الأسئلة .. افتح الباب وامض أمامى حتى نهاية العربة ..

وامتثل الفتى ، فى حين تحرك القطار مغادرًا محطته الأخيرة فى (لوكسمبرج) ..

★ ★ ★

١١

ألقى (أنتونى) بـ (إريك) فى ركن الكابينة ، ثم أغلق الباب فى سرعة وانفعال بالغين ، قبل أن يلتفت إلى (عمر) و(دينا) ، سائلاً :

- هل أنهيتما التحويل ؟!

قالت (دينا) متظاهرة بالانغماس فى العمل :

- ليس بعد .. إننى أعمل على قدم وساق ..

وقال (عمر) فى سمته السمج اللزج :

- أوه .. لا تقلق أبدًا يا سيدى .. التنفيذ جارٍ على النسق الذى اتفقنا عليه .. رفع (أنتونى) بالحقيبة الجلدية السوداء ، وبالحاسوب ذى التفاحة المقضومة على ظهره قائلاً :

- وأنا أتيت لكما بالذى تبغيانه !

واستدار مراقبًا الممر عبر النافذة العلوية للباب ، مغمغمًا :

- .. السرعة مطلوبة قبل حدوث ما لاتحمد عقباه ..

قالت (دينا) وهى تضغط أزرار حاسبها فى سرعة ومهارة :

- أقل من دقيقة واحدة وينتهى كل شىء بسلام ..

ورفعت رأسها إلى (أنتونى) متابعة :

- .. نحتاج إلى بعض بياناتك هنا يا سيدى ..

نظر إليها (أنتونى) فى تساؤل ، فأدارت إليه شاشة حاسبها التى علتها واجهة موقع البنك السويسرى ..

اقترب (أنتونى) ، وانحنى واضعًا الحقيبة والحاسوب على الأرض ، ثم انحنى أكثر مائلاً باتجاه شاشة حاسوبها ، عندما ....

ـ والآن ارفـع يديـك لأعلـى بكل بـطء يا سـيد (فنتى) ..

ـ عندما شعر بفوهة باردة تلتصق برأسه من الخلف ، وسمع أمر (عمر) الذى تخلى عن لهجته الأبرد من ثلاجة ..

ـ ماذا ؟!

هتف بها (أنتونـى) فـى حنق ، وغيظ ، وعدم تصديق ..

لقد جاء بقدميه إلـى الفخ ، وأفسد العملية كلها بحماقة منقطعة النظير ..

ـ سأقولها ولن أعيدها ثانية ، يداك لأعلى .. وببطء من فضلك !

صاح (إريك) الذى انكمش على نفسه أكثر فى الركن المقعى فيه :

ـ لقد خدعنا يا سيد (فنتى) .. خدعنا .. خدعنا !

كانت يدا (أنتونى) ترتفعان لأعلـى ، وببطء كما قال (عمر) ..

ـ (أنتونى) لا يُخدع بهذه السهولة ..

غمغم بهـا ويده تتسلل إلـى أسفل قميصـه حيث يستقر سلاحه ، ولمـا كانت (دينا) تواجهـه فقد لمحت ما هو بصدده ..

ـ (عمر) .. خذ الحذر !

صـرخت بهـا بالعربيـة دون وعى منهـا ، فـى نفس اللحظة التى استل (أنتونـى) فيها مسدسـه ، واستدار نحـو (عمـر) غير آبـه بسلاح الأخير المسدد إلى رأسـه مباشرة ، وانطلقت رصاصاتـه فى جنون ..

وتلقى (عمر) التحذير فى الوقت المناسب ، فمال

بجسده بعيدًا عن مجال الرصاصات التى حطمت باب الكابينة ، والجدار المقابل ، والزجاج المطل على المناظر الخلابة ..

ـ إنهما مصريان .. الفتاة تحدثت بالعربية ..

ضاع هتاف الفتى (إريك) فى معمعة الصراع ، فقد فوجئ (أنتونى) بـ (عمر) ينقض عليه من الخلف ويطوق رقبته بساعده ، وباليد الأخرى يلصق المسدس فى صدغه ..

ـ ألق بسلاحك ..

صاح بها (عمر) آمرًا ، فامتثل (أنتونى) وهو يطلق حشرجة مخنوقة ؛ من قوة ضغط ساعد (عمر) على قصبته الهوائية ..

وبدافع من غريزة البقاء ، مال أنتونى ، بجذعه للأمام دافعًا (عمر) ليرتطم بجدار الكابينة محررًا نفسه ، ومندفعًا نحوه بعدها صائحًا :

ـ سأقتلك بيدى العاريتين أيها الوغد ..

قفز (عمر) ـ برغم ألمه ـ راكلاً إياه فى معدته ، ولما مال (أنتونى) للأمام بحركة لا إرادية انهال (عمر) بكعب مسدسه على مؤخرة عنقه ، فخر الرجل فاقد الوعى وهو يخور ..

وعندما رفع (عمر) عينيه لأعلى لاهثًا ، وجد (إريك) واقفًا ، يصوب نحوه مسدس (أنتونى) الذى سقط منه قبل قليل ..

ـ منذ متى ينتصر العرب فى نهاية الفيلم ؟!

قال (إريك) محاولاً التظاهر بالشجاعة والفروسية ، برغم أن يده الممسكة بالسلاح كانت ترتجف فى قوة ..

ضحك (عمر) مقهقهًا ، وقال ساخرًا :

ـ أنت إذن الشجيع الأمريكى الفذ الذى يقهر الإرهابى العربى قبل نزول تترات الختام !

لهث (إريك) وهو يقول :

ـ هكذا الدنيا ، من أنت لتقلب الأوضاع الثابتة منذ القرن الماضى ؟!

قال (عمر) ضاحكًا من أعماقه :

ـ من جهتى لن أقلب شيئًا !

ـ والآن ، انبطح أرضًا فى هدوء و ....

قاطعه (عمر) متممًا عبارته الأولى :

ـ زميلتى ستفعل !

وتلقى (إريك) ضربة قوية على أم رأسه من حاسب آلى نقال مغلق ، فسقط مغشيًا عليه لتبرز خلف وقفته (دينا) التى نسى الجميع وجودها !

ـ رباه .. لقد ضربته ..

غمغمت بها ذاهلة وهى تحدق فى الجسدين الممددين

فوق أرضية الكابينة ، فعادت ضحكات (عمر) تجلجل وهو يهتف :

ـ مرحى لكن يا نساء العرب ..

وعادت (دينا) تغمغم :

ـ وحاسبى النقال تحطم ..

جثا (عمر) على ركبتيه ليحمل الحقيبة السوداء والحاسب (الآبل) قائلاً كأنه فى نزهة خلوية :

ـ لديك الآن واحد أكثر تطورًا ..

تناولت منه (الآبل) ، قائلة وقد ثابت إلى رشدها :

ـ أعطنيه ، سأقطع الاتصال بينه وبين مركز التحكم .

هز رأسه نافيًا وقال :

ـ لا أعتقد أن هناك وقتًا لهذا الآن ..

سألته مرتابة :

ـ ماذا تعنى ؟!

ـ سنجد أمن القطار كله لدينا بعد أقل من ثوان ..
فلابد أن صوت تحطم المكان كان عاليًا بما فيه الكفاية ..

ـ سيستغرق الأمر أقل من هذه الثوانى !

وجذبت الحاسوب من قبضته وشرعت تعمل على الفور ، فى حين أخرج (عمر) رأسه عبر باب الكابينة ، ليرى جيشًا من رجال الأمن يعدو إليهم من أول العربة ، وقد هتف أحدهم فور رؤيته (عمر) :

ـ هاى .. أنت .. تجمد !

أدخل (عمر) رأسه بسرعة ، وهتف بـ (دينا) :

ـ نفد الوقت ..

ابتسمت هى قائلة :

ـ وأنا انتهيت !

نظر ذاهلاً إلى شاشة الحاسوب الميتة ، وسألها :

ـ بهذه السرعة ؟!

ـ الأمر بسيط ، أغلقته فانقطع الاتصال !

ـ هيا بنا إذن ..

ـ إلى أين ؟!!

ـ سنقفز من هنا !

ـ ماذا ؟!

ونظرت (دينا) عبر النافذة المهشمة ، لترى واديًا أخضر منحدرًا إلى أسفل بشدة ، ولمسافة طويلة محفوفة بالصخور والشجيرات والمخاطر والموت !

ـ مستحيل !

هتفت بها وهى تنفض الصورة عن مخيلتها ، فقال وهو يصعد فوق مقعده :

ـ للأسف لسنا نملك خيارًا آخر ..

صاحت بانفعال :

ـ القطار يسير بسرعة مهولة ، والمكان خطر إلى درجة أكثر هولاً !

ـ هيا لا تكونى عنيدة ، سأعرف كيف أحميكِ ..

تعالى صوت وقع الأقدام الراكضة مقتربًا ، فحسمت (دينا) أمرها واختارت الجنون ..

صعدت فوق مقعدها ، ومد (عمر) يده نحوها فتشبثت بها ، منحها بسمة اطمئنان وقال :

ـ لا تخافى .. هيا ..

وقفز ، وقفزت ، فى نفس اللحظة التى اقتحم فيها رجال الأمن الكابينة ليجدا جسدين ممددين باستكانة فوق أرضيتها ..

القطار سائر على قضبانه كثعبان عملاق ،

(وعمر) و(دينا) يهويان من حالق حتى يلامس كتف (عمر) أرض الجرف المعشوشب المنزلق لأسفل ..

يرتطم جسده كله باليابس فتئن عظامه ألمًا ، يسمو فوق آلامه ويقى (دينا) التى ضاعت صرخاتها فى الهواء خطر الارتطام ..

يتدحرجان ككرة بشرية ، (عمر) يقبض على الحقيبة والحاسوب ويواصل حمايته لـ (دينا) بقدر ما يستطيع ، تخدش الصخور جلده وتنغرس الأشواك فى لحمه لكنه يواصل مهمته ويجاهد للبقاء واعيًا ..

وحيًا ..

القطار يمضى مبتعدًا ، صوت عجلاته المنتظم يتلاشى ، و(عمر) جسد ممدد على أرض الوادى الأخضر العميق ، أنفاسه واهنة ، ووعيه غائب ،

متخن بـالجراح والكدمـات فـى كـل شبر مـن جسـده تقريبًا ..

بجواره (دينا) ، جراحهـا أقـل ، ووعيهـا نصف غائب ، تهذى :

(عمر) .. (ع .. م .. ر) !

علـى مقربـه ترقـد نظـارة (دينـا) المحطمـة ، وحاسوب متطور مـن أجيـال (الآبـل مـاكنتوش) الحديثة ، وحقيبـة تطـايرت النقود منهـا حولهمـا فـى كل الأنحاء ..

مشهد يوحى بالنهاية ..

تقريبًا !

إذ يتصاعد من خلف قمة ربوة قريبـة ، هدير مروحية منتظم يقتـرب فـى اطـراد ، وعلـى جانبيهـا شـعار مطبـوع لمؤسسة تقنيات فرنسية دوليـة شهيرة ..

- أجل .. نراهما بوضوح يا مدموازيل ..

قائد المروحية صـامت ، وبجواره شـخص ضئيل متأنق يتحدث بالفرنسية فى هاتف محمول ..

- .. علم ، وسينفذ فى الحال !

وواصلت المروحية اقترابها .. فى اطراد ..

* * *

عزيزى المصرى :

سددت لك الدين مضاعفًا ولم يبق إلا أن تسدد لى دينك القديم ..

فإلى لقاء ..

مادلين

* * *

(تمت بحمد الله)